

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036744719

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عُنِيَ بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شينخو اليسوعي

الجزء الثالث



طبعة سادسة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٦

برخصة تجاس معارف ولاية بيروت الحلياة ١٧٤

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

UNIVERSITY
LIBRARY

893.78

C 41

v. 3

أَلْبَابُ الْأَوَّلِ فِي التَّدِينِ

في كماله تعالى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْآثَارِ . وَمَكْوَرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمٌ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتِهِ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعَهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لِاصْفَةِ لَهُ . وَكَوْنُهُ لِأَمَدِهِ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالصُّورُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ الْآثَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَلتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْأَمْحَاذَةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودُهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ) وَإِنْ قُلْتَ كَمْ هُوَ . فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَّفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ . فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةَ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ خَلْقُهُ . فَمَا تَصَوَّرَ
فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تَمَثَّلُهُ الْعْيُونُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ .
وَلَا تَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُتَدَرُّ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يَجُوبُهُ مَكَانٌ . وَلَا يُقَارَنُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبَهُ كَرَامَتُهُ . وَبَعْدَهُ إِهَانَتُهُ . عَلُوهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَغَيْبُهُ مِنْ
غَيْرِ تَمَلُّقٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَبِمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوک للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجْبِرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشِعَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤَسِّينِ
لِلْمُتَكَلِّينِ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدْتَهُمْ وَغَايَبْتَهُمْ وَالْمَطَّلِعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ . إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْغُرْبَةَ

أَنَسَنِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ الْغُمُومُ لَجَأْتُ إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَن قَضَائِكَ . فَأَقْبَلْنِي
 إِلَيْكَ مَغْمُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بِأَقْبَلِ عُمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَوَيْ أَبُوبَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْيَنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِّ ابْتِغَاءً وَجَهَكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ ادِّعَارَةٍ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظَاهِمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْدَاءِ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَخِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَاطِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا مَعْمَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْنِي بِذَلِكَ وَجَهَكَ
 وَالِدَارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِبْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَنَمَةِ وَالنِّسَانِ فَالْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 النَّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَمِينِ وَالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَذِكْرُ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشْرَعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْمَحَاسَبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِعْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَحْتَجِبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَن نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالتَّجْبُرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَنْتَ أَدَاتِ

الْأُمُورُ بِأَرْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحِلْقَتِهِ . يَا مَنْ
 أَنَارَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنَارَ الشَّمْسَ
 الْمُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحِلْقَتِهِ . وَجَعَلَهَا مَرْقَّةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعِظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ أَسْتَوْجِبَ الشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَابَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاذِ الْعَزِيزِ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَأَسْتَأْذِنُكَ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا لِلْحَكِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شِعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعِظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعِظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي فَتَقَتْ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمٍ جُنُودِ الْعِيُونِ لِلنَّاطِقِينَ . الَّذِي بِهِ تُدَبِّرُ حِكْمَتِكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجُجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ حِرَازَتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُتَّ وَالْغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النَّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَعَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ البَقَاءِ . يَا وَاسِعَ العَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ العُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الكُرُوبِ . يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ . يَا مَخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّيْآتِ .
 يَا مُشِيرَ الرُّفَاتِ . يَا فَالِقَ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فَجْرًا مَعَ
 الرِّوَّاحِ . يَجَانُ فِي النُّوَّاحِ . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُؤَمِّمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ العِبَادِ . يَا مُجِيَّ البِلَادِ . يَا مُطَاقَ الأَسِيرِ . يَا جَارِ الأَمِيرِ .
 يَا مُنِيَّ الفَقِيرِ . يَا غَازِيَ الصَّخِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَادِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . مَا عَنَّهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٍ مِنْ العَجِيمِ .
 مِنْ هَوَاهِهَا العَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الذَّمِيمِ . مِنْ حَرِّهَا الأَتِيمِ . لِمَسْكِنِي
 الجَنَانَا . يَا بِنِي الأَمَانَا . فِي مَنزِلِ تَعَالَى . بِالحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَالَا . تَلَقَى بِهِ الجَلَالَا (ديوان نلي)

٦ قَوْلُ الأَصْمِئِي سَمِعْتُ غُلَامًا يُحْمَدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيعِ وَكَأفِلًا رِزْقَ الجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَادِلُ
 يَا مُسَبِّغَ البَرِّ الخَزِيلِ وَمُسَبِّلَ السِّتْرِ الجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الوَعْدِ الوَفِيِّ قَضَاءِ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الشَّأءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَابِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَمُنُّكَ غَافِرُ وَتَوْبَةُ العَاصِي بِجَاهِكَ قَابِلُ
 رَبُّ يَرْبِي العَالَمِينَ بِرَبِّهِ وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكِ دَائِمًا
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِيهِ الْفَرَجُ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَلْقَى إِلَى
وَمَنْ أَسْتَرَّاحَ بغيرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
رَأْيِي يُلَمُّ إِذَا عَرَّتَهُ مُلَمَّةٌ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ
أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ أَبْقُ كُلُّ عَلَى
قَدْ أَثَقَلَتْ ظَهْرِي الْأَذُنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَذَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقْهُ تَوْ
وَأَعْمَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمْرِيُّ :

يَا مَنْ نُحِلُّ بِذِكْرِهِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا
عَقْدُ النَّوَابِ وَالشَّدَائِدُ
وَالِيهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدُ
صَمَدًا تَنْزَهُ عَنْ مُضَادِّدُ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُبْتَلِيَتْ بِهِ وَأَنْتَ عَلِيٌّ شَاهِدٌ
 إِنَّ الْهُمُومَ جِيُوشَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تَطَارِدُ
 فَرَجٌ بِجَوْلِكَ كُرْبَتِي يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدُ
 فَخْفِي لَطْفِكَ يُسْتَعَا نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمُعَانِدُ
 أَنْتَ الْمَيْسِرُ وَالْمُسَبِّبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبِّبْ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَٰهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ رَاحِي فَلَقَدْ يَسُّتُ مِنْ الْأَقْرَابِ وَالْأَبَاعِدُ
 وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُثَمِّتَنَّ بِي أَحْوَابِدُ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَابِدُ
 وَعَنْ أَلْوَرَى كُنْ سَاتِرًا عَيْبِي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدُ
 يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَعْتَالَ الْمُعَانِدُ
 قَامُنٌ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ أَحْوَابِدُ
 هِدِي يَدِي وَبَشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ
 فَالِكُمْ إِلَٰهِي قَدْ شَهِدْتُ لِقَيْضِ لَطْفِكَ مِنْ عَوَائِدُ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنَ بَسْطَامٍ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عَفِيرَةَ الْعَابِدَةِ الصَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيَتْ . فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ : مَا أَشَدَّ أَلَمِي عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا . فَسَمِعَتْ عَفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبَيَّتْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبَيْتٌ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهْؤُنِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هَمَمُهُ
رَثُّ اللَّبْسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ لِسَمِهِ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ لِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمٍ عَلَى صِرَاطٍ سِوَى ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّنْفِي :

يَا طَالِبَ الطِّيبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنْ الطِّيبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْذَّاءِ
هُوَ الطِّيبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةِ لَأَمَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عَيْدًا فَأَنْتَ مَجَاهِدُ
يَا ذَا الْعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرَدًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
 وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَبِّهِ لِمَوْلَاهُ
 إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
 سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
 صَوْتِكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَةٌ فَذَنْبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْتَاهُ
 فِي جَنَّةِ الخُلْدِ مَا تَمَنَّاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
 سَلَنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 ١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَادِ هُوَ الْيَتَّظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
 الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّوْبَى لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ
 الشَّرِيعَةِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْحَسَابَةُ
 وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
 نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ عَنِ الْكُدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
 تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّعُ عَنِ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخَالُفُ الْقَابِ
 عَمَّا خَاتَ عَنْهُ الْيَدُ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَتَيَدَّرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
 الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
 عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَمْعُ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
 وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَالِقِ عَنِ مَعَامَلَةِ
 الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 مَعَ الْعَالَمِ . بَانَ الْخَيْرُ فِيمَا اخْتَارَهُ
 (لباء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْنَفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَنْقَطِعَ الْعَمَلُ .
أَعْيَنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَعُمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
الْصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
فِيهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكْتُ عِنْدَكَ مِنِّْي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ .
وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَرْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحِثِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَأَحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا تُحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُجَّتِي . وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَائِنٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنَهُ

ضَعِيفٌ وَمِنتُهُ عَاجِزَةٌ . قَدِ انْتَهتْ عِدَّتُهُ . وَخَلَقَتْ جِدَّتُهُ . وَتَمَّ ظُهُودُهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طُولِ النَّسِيئَةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشْبِیحِ العُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ
 الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قَدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ العُقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِيلِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَعْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ سَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربّه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَعْظِمًا :

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ عَن طَرِيقِ الحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ
 تَرِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
 تَطَّلَعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالقَلْبُ مُظْلَمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سِنَى الحَقِّ طَائِفٌ
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانَهَا حُلُومٌ تَقَضَّتْ أَوْ بَرُوقٌ خَوَاطِفٌ
 وَجَاءَ المُشِيبُ المُنْذِرُ المرءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفٌ
 فَيَا أَحْمَدُ الخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الكُهُولَةِ هَاتِفٌ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ
 فَجَدُّ بِالدَّمْعِ الحُمْرِ حُرْنَا وَحَسْرَةً فَدَمَعَكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفٌ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهَ الخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لِنِ أَعْظَمِ النَّاسِ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا

١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الصِّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يَتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِإِسْدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَرَانُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسَيْلَةٌ
مَا لِي سِوَى قُرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِأَسْمِهِ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقَبَّطَ عَاصِيًا
١٤ قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَادِّفُ عَلَيَّ وَجَلِّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغْبِ عَنْكَ عَيْبَهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهَوَّ رَاجٍ وَخَائِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّخَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْآبِرِ عِنْدَمَا يَصْدُ ذُووُ الثَّرْبِيِّ وَيَجْنُو أَوْلَافُ
لِنِ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصَرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِإِلَادِنِ عَارٍ عَنِ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِي مَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَزِيقَةَ مَا أَبْقَى مِنْهُ
مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصَرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَشْئِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرَفَنِي ذَلِكَ الشَّانُ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
كَيْفَ انْحَدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيوسٍ حَيْثُ
أَمَرْنَا بِالطَّابِ وَالْبَحْثِ عَنِ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لهاء الدين)

أَبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

فِي الْخَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْلَاصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَأَكْبَهُمْ . وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةً . وَقُلُوبَهُمْ مَحْزُونَةً . وَأَنْفُسَهُمْ عَفِيفَةً . وَحَوَائِجَهُمْ خَفِيفَةً . صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً . لِعِقْبِي رَاحَةَ طَوِيلَةٍ . أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ : رَبَّنَا رَبَّنَا . يَطْلُبُونَ فِسْكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلْدَاءِ بَرَّةٍ اتَّقِيَاءُ كَانَتْهُمْ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا) . يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ فَيَقُولُ : مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ . (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عِمَّارٍ) فِي مَجَالِسِ الزُّهْدِ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَاتٍ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا . فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ . حُلْفَاءُ طَاعَتِهِ . قَدْ نَضَّحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَفْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ . يُنَاجُونَ ذَا الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظْمَةَ فِي فِسْكَ رِقَابِهِمْ

زهدي النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخُورْتَقَ وَالسَّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخُورْتَقِ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَنُفُوزِ

الْأَمْرَ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا
 أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ
 لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ :
 بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ :
 فَسِرْتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ .
 قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ
 تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَقْرَأُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ
 ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ .
 وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى وَاللَّهِ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا
 لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأُخْلَعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ الْأَمْسَاحُ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ .
 وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ يُسَيِّحَانِ وَيَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ
 يَقُولُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخُورْتِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلَهْدَى تَفَكِيرُ
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَجْرُ مَعْرُضًا وَالسِّدِيرُ
 فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى أَلْمَاتٍ يَصِيرُ
 ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ
 ثُمَّ صَارُوا كَانَهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رَوَى أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَّصِدًا وَمَعَهُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ

فَمَرَّ بِالشَّجَرَةِ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحِدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَفِّعٌ عَلَى قُرْبِ زَوَالِ
فَصُرُوفِ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَرَى بِهِ صُمُ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَدْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قَدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمْنِي دَهْرِهِمْ ذَيْرٌ عَجَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدْحَالِ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرَّ بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرِّكْبُ اأُنْجِبُوا نَعْلِي عَلَى الْأَرْضِ الْمَجْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةُ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ :
وَفِي هَذَا النَّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينِيذٍ
وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ

(للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَهَا

١٩ (مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعِ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقَ وَالسُّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالْغَايَةَ النَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَةٍ . قَبْلَ مَنِيئِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ بُوسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأَيْهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَتَدَّ خَيْرَ
عَمَلِهِ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَمَلُّونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَابِهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَدَلَّيْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ) قَالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ : يَا نَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أُمَّ رَامِقٍ . قَالَتْ : بَلِ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : يَا نَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطًا وَتُرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِثَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مَنَهَاجِ الْمَسِيحِ (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ : مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بِيَدِي

وَبَيْنَهُ مَوَانِسَةٌ . فَمَاتَ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَاللَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
 شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لِحِرْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
 عَلَى مَا نَقَّابَ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
 الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
 الطَّبَائِعُ . فَمَاتَ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . فَقُلْتُ :
 وَمَا أَكْمَلَ الْعَقْلَ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
 التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
 فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ .
 فَقَالَ : لِأَحَدٍ هَذَا السَّبْعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
 مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
 وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَخَالِطَنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
 الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهِا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
 الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
 الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبِستَ السَّوَادَ .
 فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَاتَمٍ وَأَهْلَهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزَنْتُ لَبِستُ
 السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذَكَّرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرْفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
 ظَنَنْتُ أَنِّي مُتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
 عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلَغُ الْعِظَاتِ النَّظْرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْأَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ .
وَأَحْسِنِ سِرِّيْرَتَكَ . يُحْسِنِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيُجَنَّبُهَا وَيَذْمُ السُّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسَ مَنْ يُشْغَلُ
بِالْكَلَامِ وَيُزِينُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُجُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ
وَيَنْتَلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهُ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعِظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَبَّارَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعَائِنِ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْمِيْنِ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتِثْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَجَنِّبْهُ . وَأَرْضَ النَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا بَنِي مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

مَشِيئَتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 أَعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَاثْمَانَا . وَلَا تُدْخِنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِنَسْبِحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجَمِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كِعَظَمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعَكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَشْتَغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِي قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ اعْنَا عَلَى أَنْ نُحَذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفِيْنَا لِعَمَلٍ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانصرفتُ
 وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ أَحْتَوَشْتَهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَيَقْتَرِسَهُ أَوْ يَاهُوَ فَيَنْهَسَهُ . فَإِذَا لَيْلٌ مُخَافَةٌ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُعْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنْ الظَّمَانُ يَتَّقِعُ بِسَيْرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةَ الْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِرَمْدٍ وَمُخَوِّدَةٍ فِيهِ مَحْرُومَةٍ مِنْ
 الْأَشِعَّةِ الْفَاضِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فِيهِ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُحْجُوبَةِ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعُ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْخَفِضٌ ذَا مُنْجَزِمٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وَجَدُوا لَا يَتَّبِرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمٌ

(لبهاء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمُتَبَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْعُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِينِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخِيبُ

٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَدَاتِهَا بِمَا
يَنْقِضِي . وَمَنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمَنْ مَلِكِهَا بِمَا يَنْقُدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَزَكَتَ
أَمْوَالُكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ أَمْوَالُ
الْقَوْمِ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْوَالُ إِلَّا فَجَائِعُ
إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّتُ الْأَمْسَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عِيونًا دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
وَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شَغَفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا إِهْوَى مُتَّبِعٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طَلَابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَخْدَعُ
أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضُ الْبُرْقِ مَهْمًا لَمَعُ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَا ضَيَّنَّ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بِسَطَةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرْجَعُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَغَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
قَلَّمَ تُعْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قُبَيْلٍ مِنْهُمْ بَدَلَ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرِزَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا عَلَى فِجَاءَةٍ . فَقَدَّ غَفَاتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَهَيِّدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تُعَذَّبُوا . وَتَرَوْدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْتِفٌ عَدْلٍ
وَقَضَاءٌ حَقٌّ . وَلَقَدْ أُبْلِغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَهَنْزَلُ قُلْعَةٍ وَعِنَاءٌ . قَدْ نَزَعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَانْتَزَعَتْ بِالْكَرِّ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشَقَّاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ إِنْ ائْتَصَّهَا
وَالْمَغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَهَالِكٌ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضْجِعُ فِي دَمْنِ غِبْرَاءٍ . مُدْهِمَةً ظُلُمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَنْشُرُ فَيُخَشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفَدُ عَذَابُهَا
 ٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
 بَرَّتْ . أَوْ أَطْبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
 أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَرَكَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
 أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
 صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفُرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
 نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لبهاء الدين)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
 مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِبْرَانِ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
 لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
 مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِّ
 ٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
 إِلَى الدِّينِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
 سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مِنَ الظُّلُومِ
 سَتَنْقَطِعُ اللَّذَاذَةُ عَنِ النَّاسِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الْهُمُومُ
 لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
 سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَّه تَقَضَّتْ سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تُرُومُ الْخُلْدِ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تُرُومُ
تَتَامُ وَلَمْ تَتَمَّ عَنْكَ الْمُنَايَا تَذَبُّهُ لِلدُّنْيَةِ يَا نُورُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفَنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ حُرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِمُنَايَا عَمَلِ

قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخَافُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهَلُّوا لِقَبْرِهِ بِبَادِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضِحِكُ الْقَابِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَعْدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حَرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَكُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الخازن :

عَنْتِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَا حَ الزَّاهِدُ الْلَطِينُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَقْتَنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتِنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي نَحْوُ بِهِ وَسَنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزْنَ

وَأَشَدَّ عَدِي بِنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرْ وَانَ أَمَ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْأَكْرَامِ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تُجْبِي إِلَيْهِ وَأَخْبَابُ
 شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كِلَسًا فَلَطَّيِرُ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ :

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ

مَا فَاتَ مِنْهَا فَحَامٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي لَلَيْلُ

الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : لَا بَدَّ . فَأَشَدَّهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَاقِلِهِمْ
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دَفِنُوا
 أَيْنَ أُلْجِئْتُمْ أَيْنَ أُلْجِئْتُمْ أَيْنَ أُلْجِئْتُمْ
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
 وَطَالَمَا كَثَرُوا الْأَمْوَالَ وَأَدَّخَرُوا
 وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ
 أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحَشَا مُعْطَلَةٌ
 سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتَهُ
 أَيْنَ الْكِنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا
 أَيْنَ الْعَبِيدُ الَّتِي أَرْضَدْتَهُمْ عُدًّا
 أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْعِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
 أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
 أَيْنَ الرُّمَاتُ أَلَمْ تُسْمِعْ بِأَسْمِهِمْ
 هِيَهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 وَلَا الرُّشَى دَفَعْتَهَا صَاحٍ وَبَدَلُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
 مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأَوْدَعُوا حُفْرًا يَا بَيْتَسَ مَا نَزَلُوا
 أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالسَّيْجَانُ وَالْحَلَلُ
 مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ
 تِلْكَ أُلْجِئْتُمْ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَلُ
 فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 فَخَلَّفُوها عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَرْتَحَلُوا
 فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَتَقَلُّوا
 وَسَاكِنُهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
 أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
 تَوَى الْعَصَبَةَ الْمُثَوِّينَ لَوْ حَمَلُوا
 أَيْنَ الْعَبِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْحَطِيبَةُ الذُّبُلُ
 لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
 أَيْنَ الْحَمَاتُ الَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
 لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
 عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
 وَلَا الرُّشَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
 بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَيْتَسَ مَا فَعَلُوا
 وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالَ قَصْرِكَ وَحَشَا لَأَنْيَسَ بِهِ
 مَا بَالَ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا
 لَا تُشْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ
 وَكَيْفَ يَرِجُودَا مِ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا
 وَجِسْمِهِ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضٌ
 وَمَا بَكَهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلٌ
 يَعْشَاكَ مِنْ كَنْفِيهِ الرَّوْعُ وَالْوَهْلُ
 وَكُلُّهُمْ بِأَقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شَغَلُوا
 وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ أُلْمُوتُ وَالْوَجَلُ
 وَرُوحُهُ بِجِبَالِ أُلْمُوتِ مُتَّصِلٌ
 (وتروى هذه القصيدة في ديوان علي بن ابي طالب)

حفظ الحواس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ : شَكَوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجْدُهُ فِي
 قَلْبِي . فَقَالَ : هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ . قُلْتُ : نَعَمْ .
 قَالَ : أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَاكَ فِي مَكْرُوهٍ . وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتْ سَائِرَ جَوَارِحِكَ . (قَالَ) مُسَلِّمُ الْخَوَاصِّ مُحَمَّدُ بْنُ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : أَوْصِيكَ بِتَهْوِي اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ .
 وَإِيثارِ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ . وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ . فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَتَاكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبُ الْبَانِكَ بِهِ . وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ . فَلَمْ يَعْصِيَاكَ أَمْرًا وَلَا يُرَدَّا لَكَ قَوْلًا . (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ) :
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ . فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَبْقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمَصْرِفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِبُهَا وَإِبْرَادَتُهُ تَدْبِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَقَابُ . وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ . وَعَاضِدُهُ

أَفْتَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلَبِعَتُهُ الْأُذُنَانِ . وَهَمَّا فِي النُّقْلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَبِقِي رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لَعَبٌ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُنْبِي دَنَهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَبْرٌ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالتَّقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَارْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أُمَّ الدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَدْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجَعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمَنْ يَوْمَهُ . وَيَخَافُ غَدَهُ . يَرْضِعُ ثَدْيَهُ وَيَجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُومِي . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ لَسِرُ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَنْخَلِّمَ الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابِبُ . (وَفِي فَصْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِّ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوِّنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَنِيَانِ . مُوقِظُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعْنََةِ الظُّلْمِ . حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْبُكَاءِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْقُطُوبِ مِنَ الْبِشْرِ . مُرُّ الشَّرِّ بِعَيْدِ الْمُحِبِّ . قَابِضٌ عَلَى النَّفْسِ

بِكُرْبَتِهِ . مُنِيخٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غِصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمَثَلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُو المُوْرِدِ مَر المَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ المَرْءِ كَأَثَرِ
السِّيفِ فِي الضَّرْبَةِ وَاللَّيْثِ فِي الفَرَيْسَةِ . (وَ لَشَّمْسُ المَعَالِي قَابُوسٌ) :
المُدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مَفْصَلُهُ وَمَجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أُبْتِغِيَ مِنْهُ الرِّعَايَةُ . أُبْتِغِيَ مِنَ الغُولِ الهِدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللطَائِفِ لِلدَّقْدَقِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَا مَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الحَيَاةِ فِضَاعُ الحِرْصِ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتْهَا نِعْمَ العُصُونُ وَلَكِنْ بِاسْمَا الشَّرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزُرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَفَاتِ مَهْصُودٌ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَهْصُودٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ حَجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَأَلْبَازِي المُنْتَفِ رِيشِهِ يَرَى حَسْرَاتٍ كُلَّمَا طَارَ طَائِرٌ
يَرَى خُرْقَاتِ الجُؤِ يَخْرُقْنَ فِي الهَوَا فَيَذْكُرُ رِيشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرٌ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَدًّا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرٌ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَهْصُودًا الجُنَاحِينَ خَائِرٌ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا أَلْمُ
بِعَجَائِبِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرٍ تَأْتِطِمُ
وَالعمرُ يَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَعْرِ لَهَا قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يُسَعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَى ضَوْءُ ظَامِ
وَالنَّاسُ بِحُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحِلْمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعْمَ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعْمَ
فُرُقُوا فِرْقًا فِرُقُوا فِرْقًا وَمَضَوْا طُرُقًا لَا تَأْتِمُ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا
يَكُونُ صَعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هَبْوَطُهُ
وَهَيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا
شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَنَ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا
وَفَاءَ بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَأَيَّامَنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ
إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنَ التُّقَى
فَعَمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طَوَيْتَ عَلَيَّا
وَقَدْ أَخْرَجْتَ بِمَا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صَرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا
وَمُرْتَهِنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ الْبَاكِيَاتِ لِي يَوْمًا
وَلَا يُعْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرُنْ مَنِّي فَنَعَيْتُ نَفْسِي
أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةِ وَزِيرِ
وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
فِيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ
يُودِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرِ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ
تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا
فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسَلِبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا
كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ
٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَعُوا حَدْيِي عَلَى حُدَيْ ضَعُوهُ
وَمِنْ غَيْرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَشَبُّوا عَنْهُ أَكْثَرَنَا رِقَاقًا
وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَغَيَّبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ
صَبِيحَةٌ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرَ مُقَلَّتِيهِ
عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى الْبَلِيَّ هَذَا أَفْلَانُ
هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُونَهُ
خَلِيكُمُ وَجَارِكُمُ الْمَفْدَى
تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَيْمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ
وَالْقَبْرَ مَسْكِنَهُ وَالْبَيْتَ مُزْرَجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَبَّحُوهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَدَّخِجُوهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّوْحَى بِهِ سَمِجُوهُ
تَرَى الَّذِي أَخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا
وَقَالَ آخِرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

حَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
يُعْجِلُ تَخَايِصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى
وَيُؤَلِّقُهَا فِي الْبُحْرِ الْوَالِدِ
وَيُدِينِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا
عَلَى الرَّمِيمِ فَاثَمٌ يَرُدُّ جَوَابِي
قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ
أَنْكَرْتَ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
أَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِي فَتَسِيَّتْكُمْ
وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلِ وَتُرَابِ
وَحَجَبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحْبَابِي
وَقَالَ آخِرُ:

٣٦
إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلدَّوْتِ، وَأَسْعِي لِنَجَاةٍ
قَدْ تَدَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بَدُ
فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
أَنْتِ تَسْمِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهَوُ وَتَاهِينَ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لِأَمْرِي حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ حُدُّ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حُوفِهَا لَكَ وَرَدُّ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنِ الْأَجْبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنِ التَّهْتِكِ وَالْمُهِيَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدَمًا طَالَ عَرْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى بِيَدِي زَمَامِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخُو سُكُونٍ يَلِيْقُ بَأَنَّ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصُ بَعْدَهَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَدْرُ التَّمَامِ
فَكَمْ أَجْرِيَتْ فِي مَيْدَانِ لَهْوِ خِيُولِ هَوَى وَكَمْ ضُرِبَتْ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَأْسَ تَعْيِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِأُبْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

أَحْمَدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَاجْتِهَدِ
مَنْ يُطِعَ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعُصُهُ أَوْ الضَّمِيرِ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضَلُّوا
لَا تَتْرُكُنْ نَضْحِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاصِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجِدْ غَبَّ التُّقَى
 إِنْ التَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحَجِيمَ إِخْوَتِي لِعَالِمِكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصِدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَابِرًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ اللِّقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَانْتَفِعُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُبَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحْمَدُهُ
 فَالْمُوتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبٌ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يُلْهِيكُ مُشْتَغِلٌ
 تَمُضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضْ إِلَى ذُرُورَةِ الْعُلِيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجَدًا فَأَحْسِنُ مَا
 عَنْ نُجْحِ قَصْدِكَ مِنْ نَحْرِ الْهُوَى ثَمَلٌ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزْمًا ائْتَرَقِي مَكَانًا دُونَهُ زُحَلٌ
 بَقَاؤُهَا بَيْتَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلٌ
 يُبَالِ عَنْكَ قَفْزِي مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بِحَرِّ الْأَمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمَرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلٌ
 إِلَى كَمِّ كَأَلْبَهَائِمٍ أَنْتَ هَائِمٌ
 هَدَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 وَفِي ثَوْبِ الْعَمَى وَالْغِيِّ رَافِلٌ
 وَفِي وَقْتِ الْغَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمٌ

وَطَرْفَكَ لَا يَرَى إِلَّا طُمُوحًا وَنَفْسَكَ لَمْ تَرَلْ أَبَدًا جُمُوحًا
 وَقَلْبَكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
 بَلَّالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
 يَبْجُرُ الْأَيْثَمَ لَا تُصْنَعِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
 وَقَلْبِكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلِكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَرْضِيَادٍ
 عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدَّنْيَةِ مُجَدِّدًا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشِيِّ
 وَجَهْدِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
 وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
 ٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زَهَيْرٌ :

نَزَلَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفْرَقِي لَاعَزُّ نَازِلُ
 وَبَكَيتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ فَا، آهٍ عَلَيْهِ رَاحِلُ
 بِاللَّهِ قُلِّ لِي يَا فَلَاحُ نَ وَليَ أَقُولُ وَليَ أَسَائِلُ
 أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتَ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
 هَيَّاتِ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثُ عَاقِلُ
 قَدْ كُنْتَ تُعْذِرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
 مَنَيْتَ نَفْسَكَ بِاطِّالًا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
 قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَّاحِلُ
 ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّامَاتِ دَاوُدَ الطَّائِي تُكَلِّمُ ابْنَ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعَشَى بَصْرَ الْقَابِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرَ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْتُونِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحَبَابِ قُلُوبِكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشِنْتَ الْمُطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشِنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لِينَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَدَّ بِهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَّجْتَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرَ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةَ تَبْرُدُ فِيهَا مَاءُكَ وَلَا صَحْفَةَ يَكُونُ فِيهَا عَدَاؤُكَ وَعَسَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبُهُ وَلَا مِنَ الْأَلْبَاسِ لَيِّنُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَاتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانَ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وِفَاةِ الْإِسْكَانَدَرِ لِمَا جُعِلَ فِي تَابُوتٍ
مِنْ ذَهَبٍ تَتَدَمُّ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ
وَتَمَلَّكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَّفَ عَلَيْهِ آخِرُ) فَقَالَ :
أَنْظِرْ إِلَى حُلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ أَنْقَضَى إِلَى ظِلِّ الْأَعْمَامِ وَقَدْ أُنجِلَى .
(وَوَقَّفَ عَلَيْهِ آخِرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مُلْكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخِرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ صَيْقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخِرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمِيَتْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَهُ لَا يَمُوتُ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخِرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغَلِبُ . (وَقَالَ رَيْسُ
الطَّبَاخِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ النَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَأَسْتَأْرِي عَمِيدَ الْمَجْلِسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْتِي وَوَلَدَهُ :

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَمِيتَ أَسْفًا أَعْدَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَوَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا تَا
 وَنَوَّرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
 مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَابِقَةٍ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
 يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتَهُ
 يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَعَاجِلُهُ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيَتْ فِي الْعِنَانِ لَهُ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ
 وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمِ
 يَا قَمْرًا أَحْجَفَ الْحُسُوفُ بِهِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفًا
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًّا
 يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْهَا

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

وَلَا أُمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أُمْتَلَا حَزْنَا
 لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
 وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنَا
 هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا
 لَا بَيْتَ يُسْكِنُ إِلَّا فَارَقَ السُّكْنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ
 إِذَا ذَكَرْتِكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْزَنَا
 يَا سَيِّدِي وَمُرَاحِ الرُّوحِ فِي جَسَدِي

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلْبَسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِي بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوِضَةً مِنْهُ لَمَا كُنْتُ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةَ نَاشِرٌ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لِئِنْ عَمَرْتُ دُورًا مِنْ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِاعْرَائِي فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَائِي يُكِنِّي
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْبَرَ لَثَوَابِكَ . فَقَالَ :

بَابِي وَأُمِّي مِنْ عَبَاتِ حَنُوطِهِ بِيَدِي وَفَارَقَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوكِ وَكَيْفَ أُنْسِي ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيْتُ فَإِنَّمَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ يَثْرِي أَخَاهُ :

أَخُ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْخُنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيِّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعَمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُجْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكُسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكَورَ :

أَيَا سَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّتَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنَا وَسُيُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَقَدَانَ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجُودِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ وَقَفًا فَإِنِّي أَرَى أُلُومَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَدَّرَا
وَارْحَمْتَاهُ إِصَارَخَاتٍ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْ جِهَهَا لَنْ تَسْتُرَا
مُنَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْخِرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْهَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَمْرُ هَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبِنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنهَا اتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجْبَدٌ عَرَضَتْ مِنْبَتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
لِحَقِّ الْعُبَارِ جَيْنَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يُمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ حُرٌّ يُمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جَرَعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ النَّاصِيَةَ الْبَاقِلَانِيَّةَ الْبُصْرِيَّةَ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَجُوحِي مِنَ الصَّفْرِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصِّدْفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي حَايِلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ حَايِلٍ
 وَلَا بَدَأَ يَوْمًا أَنْ تَحِيَّ مِنْي وَيُنْفِرُ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ يَرِيثِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحُ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُنِي لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَيْرِيُّ ابْنُ أُمَّ لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّرًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْبِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرِيثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُتَخِمَّ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ فَلَطَمًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتُهُ فِي بَسَاتِينِ الْبَلْبَلِ أَيْدِي الدُّهُورِ

قَالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرَىٰ أَخَاهُ مَا لِكَا:

أَتَدُّ لَأَمْنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَكَاءِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
لِقَبْرِ ثَوَىٰ بَيْنَ اللَّوَىٰ فَالِدُ كَادِكِ
فَدَعَنِي فَهَذَا كَلَهُ قَبْرُ مَا لِكَ
قَالَ آخِرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَاءِهِمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارَ قَدْ أَخْلَقْتُ
هُمُ جِيرَةٌ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
قَالَ الْغَطْمَشُ الضَّيْبِيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنْبِي
أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابِكُمْ
عَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
قَالَ آخِرُ:

أَجَارِي مَا أَرْدَا: إِلَّا صَبَابَةٌ
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسٌ مَيَّتٌ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِصْبَةً
إِلَّا فَلَيْمَتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
إِلَيْكَ وَمَا تَرَدَّادُ إِلَّا تَنَائِيًا
فَدَيْتِكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
لَعَمْرِي لَبِنُ عَمْرٍُومِ السَّجْنِ خَالِدًا
لَقَدْ كَانَ بَيْنِي الْمَكْرَمَاتِ لِقَوْمِهِ
فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسَجَّنُوا اسْمَهُ
قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَغَضَنِينَ فِي جُرُومَةٍ سَمَمًا
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَاطَتْ فِرْعَوْنَهُمَا
أَخْنَى عَلَيَّ وَاحِدِي رَبِّبَ الزَّمَانِ وَمَا
كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
٥٢ وَقَالَ التَّمِيمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلْهَفَةٌ مِنْ خَائِفٍ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهِنَّ أَوَانِسُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابَهُ
يُدْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُوَلِّهِ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
فَالنَّاسُ مَا بَعَثَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ
يَبْعِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ عَجِيرٌ
بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورٌ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورٌ
خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ
فِكَانَهُ مِنْ شَرِّهَا مَنْشُورٌ
فِي كُلِّ دَارٍ رَنَةٌ وَرَفِيرٌ
فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ
(الحماسة لابن تميم)

أَلْبَابُ الرَّابِعِ فِي الْحِكْمِ

٥٣ قِيلَ: لَا تَسْتَصْرِغَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ. لِإِنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ. وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ. وَقِيلَ: الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رَبِّمَا اشْتَدَّ. كَالغَضَنِ النَّظِيرِ رَبِّمَا صَارَ شَوْكًا. وَفِيهِ: لَا تَأْمَنْ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ. فَالرُّمْحُ قَدْ يَمْتَلِ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالرُّجَّحَ. قَالَ الْمُوسَوِيُّ:

الْفَيْلُ يَضْجُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرِيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ: مَا الْكُفْرُ. فَقَالَ: الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ. فَقَالَ: مَا الرِّضَاءُ. فَقَالَ: الْقُنُوعُ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِثِ. فَقَالَ: مَا الصَّبْرُ. فَقَالَ: كَظْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ. فَقَالَ: مَا الْحِلْمُ. فَقَالَ: إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ. فَقَالَ: مَا الْكِرَامُ. فَقَالَ: حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ. فَقَالَ: مَا الْحَمِيَّةُ. فَقَالَ: الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ. فَقَالَ: مَا الشُّجَاعَةُ. فَقَالَ: الْحَمَلَةُ فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ. وَالشَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ. وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ. قَالَ: مَا الْعَدْلُ. قَالَ: تَرْكُ الْمُرَادِ. وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِمَادِ. فَقَالَ:

مَا الْأَنْصَافُ . قَالَ : الْمَسَاوَاتُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
 الْأَذْلُ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوِّ الْأَيْدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
 مَا الْحَرِصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
 قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَاةُ قَالَ : التَّرَاحِي مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ :

مَا الْفَهْمُ . قَالَ : التَّفَكُّرُ وَإِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فائدة جامعة ولمعة ساطعة ومقالة نافعة عن علي بن أبي

طالب) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا

إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ زَلَّتَهُ . وَيَرْحَمُ عَثَرَتَهُ . وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ

عَثَرَتَهُ . وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ . وَيُرْدُ غِيْبَتَهُ . وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ حَاتَمَهُ .

وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيَقْبَلُ

هُدْيَتَهُ . وَيُكْفِي صِلَتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ

حَرَمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُجِيبُ مَقْصِدَهُ . وَيَسْتَمِ

عَطْسَتَهُ . وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيُرْدُ سَلَامَتَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَتَهُ . وَيَبْرِئُ أُنْعَامَتَهُ .

وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَتَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى

وَفَاءِ حَقِّهِ . وَيُؤَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يُخَذِّلُهُ وَلَا يُسْتَمِتُهُ . وَيُجِبُ لَهُ مِنْ

الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ

وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَلْعَانِ وَلَا نَمَامٌ . وَلَا

مُعْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ . يُطَلَبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا. وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا. إِنْ سَلَكَ مَعَ امْرِئٍ
 الْآخِرَةَ كَانَ أَوْرَعَهُمْ. غَضِيضُ الطَّرْفِ. سَخِيُّ الْكَفِّ. لَا يَرُدُّ سَائِلٌ.
 وَلَا يَجْلُ بِنَائِلٍ. مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ. يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَجْرُسُ لِسَانَهُ. وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمْلَهُ. مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ. كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا حَاقَ لَهُ. لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ. وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ. كَثِيرُ الْمُؤْنَةِ قَلِيلُ
 الْمُؤْنَةِ. يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ. فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (لادميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ:) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ. (أَفْرِدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَالِدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ. (أَنُوشِيرَوَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ. (أَبْرُويزُ) أَطْعَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَمُكَ مَنْ دُونَكَ. قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمُّ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْفَتَكِ بِأَبِي مُسَامٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ ذَارَأِي فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فِسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ:

إِذَا كُنْتَ ذَارِيًّا فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُتْمَلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهُوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقٌ وَفَاجِرٌ .
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى .
وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ . وَإِنْ أَسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
نَزَلَ . فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حُمِلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ أْتَمَّتْهُ خَانِكَ . وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانِكَ . وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرَعَكَ . وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمُ .
وَإِنْ عَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ . وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْقَهُ .

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلاَحُ مُلْكِكَ وَأَسْتِقَامَةُ رِعَايَتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ :
لَا تَعْدُ عِدَّةً لَا تَشْتِي مِنْ نَفْسِكَ بِأَجْزَائِهَا . وَلَا يَغْرَبَنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرُ وَعَرَا . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جِزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ الْأُمُورَ بَعَثَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاثٍ :
فُحِّدَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيَّ وَفِي يَدِهِ أُمَّةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَيْهِ فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَمَلَّتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِعْ أُمَّتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٍ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٍ

وَأَرْهَدُ فِيهَا دِرْيَاقَهُ . وَأَمَّا سَمُّ قَاتِلٍ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
سَمُّ قَاتِلٍ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلِكُ الدُّنْيَا سَمُّ قَاتِلٍ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمومِ وَصَوْمُ
الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمومِ فَهُوَ كَفُّ
الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْأَثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الهمومِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرْجَمَهْرِ حَكِيمِ الْفُرسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي
النُّصَحَاءُ وَوَعَّظَنِي الْوَعَّاضُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعْظُمْنِي أَحَدٌ مِثْلَ
شَيْبِي وَلَا نَصَحَنِي مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَتْ بُورُ الشَّمْسِ وَضَوْءُ
الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْتَضِ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَائِي . وَمَا كُنْتُ الْأَحْرَارَ
وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
فَلَمْ أَرَأِ عَدُوًّا إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهَلْتُ وَأَحْتَرْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا مِنَ الْإِنْسِ لِنَفْسِهَا .
وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا وَزَاخَمَتْنِي الْأَضَاقُ فَلَمْ يَزَحْمَنِي
مِثْلَ الْخُلُقِ السُّوءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَعْبَدِ الْبُعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
شَيْءٍ أَضْرَعُ عَلَيَّ مِنْ إِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمَضَاءِ
فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَعُ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي . إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي وَطَابَتْنِي الطُّلَابُ فَلَمْ

يُدْرِكُنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوِحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِجَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانِ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبُرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السُّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّبَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتَهَا فَعَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السُّوءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرَبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلْذَمَ
الْعَافِيَةَ وَالْأَمْنَ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنْ
الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرَبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرٌ مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَفْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرِينًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَهَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يَذُلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنِّسَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقِّي . عَمَّرْتُ السَّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَثَاقِ وَضُرْبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَّجْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكُرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وَجْهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمُدَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
 مَقَاسَةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشَيْدَتُ الْبُنْيَانَ لِأَعِزِّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرْفًا
 أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَوَلَيْسَتْ الْكُسَى الْفَاخِرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
 مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
 مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ

٦٢ (فصل) من حكم شاتاق الهندي من كتابه الذي سماه مُتَخَلَّ
 الجواهر للملك ابن قباص الهندي : يَا أَيُّهَا الْوَالِي اتَّقِ عَثْرَاتِ
 الزَّمَانِ وَأَخْشِ تَسَاطُطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَةَ الدَّهْرَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
 جِزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ وَاللَّيَّامَ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَعَبِّبٌ
 مُتَوَلِّبٌ فَاحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْمِ الْكُرَّةُ فَخُفَّ سَطْوَتُهُ . سَرِيعُ الْغَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنُ
 دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامِ الْأَثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
 فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَدَوَاءٍ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَدَلَّ حَوَاسَهُ
 وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
 يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
 يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَبَّ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثْرَتِهِمْ
 وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرَّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
 الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
 عُدْوَانٍ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
 الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صَوِيغِبَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ نَحْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْآخَرَى فَاقْهَرَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ لِي
 نِفَارٍ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَاهِي فَيَمَكِّنُ الْقَائِضَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمَاهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ السَّنَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرَّيْحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِتِمَّةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطْرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِيلٍ . وَيَعْمُرُ كُلًّا مِنْ مَانِهِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ لِيَسْتَجِبِي الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حَقِيقَةً مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِبِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَّةِ فِعْلِهَا نِدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيْحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةَ الْمُدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمُنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيئِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لِقَمْرٍ إِذَا أُسْتَهْلَ تَامَهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسَرَّ النَّاسَ
بِضَوْبِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْيَاسِهِ
رِعْيَتِهِ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدَلِهِ . (وَكَا لِنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدُّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لِأَرْضٍ) عَلَى كِتْمَانِ السَّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَابَةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَتَصَرُّ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوِزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لِينِهِ لِمَنْ لَا يَنَّهُ . وَهَدْمِهِ
وَاقْتِلَاعِهِ عَظِيمِ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ

(للذارطوشي)

اشعار حكيمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبِ شَاهٍ :

السَّيْلُ يَتَلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ
حَتَّى يُوَافِيَ عُبَابَ الْجَمْرِ تَنْظَرُهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ
وَإِنْ تَوَازَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُؤَلُّونَ الْعَنِيَّ كَرَامَةً
وَيَلُوبُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَلَاقِيَ بِإِكْبَارِ
فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارٍ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فِضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعَا
عَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرِعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ مَاهَانَ الْخَزَاعِمِيُّ :

إِفْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْخَيْرُ أَيَّامِ الْقَتَى
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارْجُ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَائِمِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَهْوَتْ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أُرْجَى عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمٌ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا
إِيَّيَ وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هَمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يَلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلُجَا
كَمْ مِنْ فِتْيَةٍ قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوبُهُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبُهُ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَلَا يَغْرُنَكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ الْمُتَسَبِّي :

وَأَتَيْتُ عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمُبْكَارِمِ
وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامِمِ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَّ أَرُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يُجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الْأَفْلا يُبْكِي بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بَلَ بِاَلْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبٌ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْأَيَّامِ يُخْشَى وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكْرُنُ فَرْدًا
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ

٦٩ كَتَبَ عَلِيُّ إِلَى ابْنِهِ حُسَيْنٍ

أَحْسِنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمَتَدَبُّ
 وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطَبُ
 أَبْنِيَّ إِنْ الرِّزْقَ مَكْنُوقٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تُجْعَلَنَّ أُمَالًا كَسَبْتَ مُفْرَدًا وَتَقِ إِهْلِكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ الْإِلَهِ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأُمَالٌ عَارِيَةٌ تَحِيٌّ وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقَ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقَّتْ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبُّ
 وَمِنْ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
 أَبْنِيَّ إِنْ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ فَمَنْ الَّذِي بَعْضَاتِهِ يَتَادَبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
 وَإِذَا مَرَّتْ بِآيَةِ مَخْشِيَةٍ
 يَأْمَنُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بَعْدَهُ
 إِنِّي أَبُو بَعَثْتِي وَخَطِئْتِي
 وَإِذَا مَرَّتْ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
 فَاسْأَلِ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
 وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تُحَلَّ بِأَرْضِهَا
 بِأَرْضِ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
 وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
 وَالضَّيْفِ أَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ
 وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مِنْ إِذَا آخِيَتُهُ
 وَأَطْلِبْهُمْ طَلِبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
 يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
 وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ السَّامِ فَإِنَّهُمْ
 يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمَعُوا بِهِ
 وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 ٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
 وَلَا نَصَحْتَنِي إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
 وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
 عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكَفَّ الْأَذَى وَأَحْفَظَ لِسَانَكَ وَاتَّقِ
 وَنَافِسْ بِبَدْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
 وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
 وَغَضَّ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
 وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمَّلًا
 وَكُلْ صَدِيقِي لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
 ٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدَمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرُودًا
 وَأَهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
 وَأَجْعَلْ تَرُودَكَ الْمَخَافَةَ وَالْتِمَتِي
 وَأَقْتَعْ بِقُوتِكَ فَالْقِنَاعُ هُوَ الْغَنَى
 وَأَحْذَرْ مُصَاحِبَةَ اللَّيَامِ فَإِنَّهُمْ
 أَهْلُ الْمُوَدَّةِ مَا أَلْتَهُمُ الرِّضَا
 لَا تُنْفَسِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
 فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
 لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ
 فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى
 وَدَعِ الْمَزَاحَ قُرْبَ لَمْظَةٍ مَازِحٍ
 فَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مُودِعٌ
 أَنْأَى مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
 فَلَعَلَّ حَتْفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
 وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَتَمَنَعُ
 مَنَعُوكَ صَفْوَ وَدَادِهِمْ وَتَصْنَعُوا
 وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمِّهِمْ لَكَ مُنْتَمِعُ
 يُنْفِسِي إِلَيْكَ سِرًّا إِيَسْتَوْدِعُ
 فَكَذَا بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
 قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
 وَلَعَلَّهُ خَرِقُ سَفِيهِهِ أَرْقِعُ
 جَلَبْتَ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحَفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَقَالَكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةً
وَإِذَا أُوتِمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَاخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعَ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلِهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرِيَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعْرِضُ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَلَوِّنِ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ جِئِنَ تَعَدَّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يَفْرِقُ
وَلِأَنَّ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحَقًّا
وَزِنَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرَّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيَطَّلُ يَرْقَعُ وَالْخَطُوبُ تُزِقُّ
مَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ
يُبْدِي عُمُومَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
مَنْ يُسَاسِرُ إِذَا اسْتَشِيرَ فِطْرُقُ

حَتَّى يَجْلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَفِينَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
 فِيرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 قَدَمَاتٍ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرٌ يَغْرَقُ
 بِالْجِدِّ يَرْزُقُ مِنْهُمْ مَنْ يَرْزُقُ
 أَلْقَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
 هَذَا عَلَيْهِ مُوسِعٌ وَمُضِيقٌ
 وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَاحٍ يَتَرَقُّ
 وَرَأَيْتَ مَنْ تَبَعَ الْجَزَاةَ يَنْطِقُ
 تَرَكَتَهُ حِينَ يُجْرُ حَبْلٌ يَفْرَقُ
 وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِزْبُنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَا
 وَالصَّبْحُ وَاللَّيْلُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
 يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهُ
 يَأْقُومُ مَنْ دَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
 وَيَأْكُلُ الْمَالَ خَيْرٌ مِنْ جَمْعِهِ
 وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرَ لِإِسِيهِ
 فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَاصِلِ جِبَالِ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصِرِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرَكَهُ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ الْكُتُبِ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفًا . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِأَبَاءَهُ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضْرَةِ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَجَّ إِلَى أَيْمِيٍّ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عَيْتِي . شَرٌّ مِنْ رِقِّي . أَنْتَ مَزْرُوقٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عَدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غُثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرِ أَدْرَكَ الْمَقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ الْبَحْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ سِيمًا حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَابَ السَّمَكُ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ فَرَايِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تَكْسَرُ الْيُوقَاتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَنَاسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجُدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ (لِلطَّرطُوشِيِّ)

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السُّمَّ
 أَتَكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
 الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
 اللَّطْفُ رَشْوَةٌ مِنْ لَا رَشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعَهُ . وَلَمْ
 يُجَسَّ رَيْعَهُ . أَدْوِيَةَ الدُّنْيَا تُقَصِّرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَاسْمِيهَا لَا يَفِي بِسُؤْمِهَا .
 مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْإِحْنَ . لَا بَدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
 بَعِيدَ السَّوِطِ . شَمَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفِي . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفِئُ . أَعْمَالُكَ
 نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُصَيِّبْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحْمَقُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
 بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
 وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاتِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ
 الْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا اكْتَسَبْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
 خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
 مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخُلُقَ . رَبًّا كَانَ حَتْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةٌ بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
 يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
 وَالْأَحْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبِنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
 وَأَبْعَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذَبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
 فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبِنُ مِنْ صَفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ
 مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حِيَّةٍ .
 وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَكَذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
 وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْمُتَقَوِّ . (الصَّافِرُ
 الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
 إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخْتَةُ
 طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ ذَخِيرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النُّجْمِ .
 وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْجَبْرِ . وَأَنُورُ مِنْ
 النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
 وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
 مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
 الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخْفُ مِنْ رِيَشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربّه)
 ٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ مُجْرَى الْمَثَلِ وَهِيَ لِشِعْرَاءِ مُخْتَلَفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعَ إِلَى الْعَهِيحَا بِنَعِيرِ سِلَاحٍ
 إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَنْتَهُ الرَّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
 إِذَا مَا آتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّمْتَ وَإِنْ تَقَصِدَ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبِكَ كُلَّ مَا
 إِنْ أُخْتَنِي مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ التَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدُ
 إِذَا رَمْتِ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 إِنْ تَجَدَّ عَيْبًا فَسَدَّ الْحَمَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا
 تَرَقَّبْ جِزَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا
 ذَكَرْتُ لِقَى عُمَرُ الْثَّانِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضِ
 سَبْكِنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لِحِينًا
 عَفَافَكَ غِيٌّ إِمَّا عَفَّةُ الْقَتَى
 غَلَامُ آتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 يَسُوكُ أَبْعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 فَحَسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوَدَّ أَنْضِبُهُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَطْوُرُ
 وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَاطِعًا عَلَيْهَا الذَّبُّ وَالضَّبْعَا
 وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَبِيلَهُ الْأَطْرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ نَدَا أَقَوْمَ مِنْ قِدْحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّذَكِيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 إِذَا دَفَّ مِنْ لَدَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمَّرٍ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تُطَاوِعُنِي
 وَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَقْتِ
 وَالْأَدْرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
 فَذَقِيلُ ذَلِكَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حَسَنُ بَرِّهِ
 لَا تَرَجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَعْرَنُكَ هَذِهِ الْأَوَجُهُ الْعُرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْمُجْدَرُطِبَا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْقِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَائِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا لِقَوِيٍّ عَنِ ضَعِيفٍ غَنِيٍّ
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْغَابِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْحَمْدَ مَنْ تَعَلَّوْهُ الرُّبُّ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضُدِ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ
 فَقَالَ خَذُ قَاتُ كَفِّي لَا تَوَاتِبْنِي
 فَمَا كُلُّ مَصْفُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 فَمَا أُحْتِيَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيَلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكُفْنِ
 فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَثِّ
 مَ يَا رَبِّ حَيَّةٌ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
 حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلَرَبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثُّعْلَبُ
 وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعَلَلِ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مُحْسَرٌ
 لَا بُدَّ لِسَمِّهِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْأَقْلَبِ وَلَا أَدَبِ
 تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِرْمَ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنِي وَيَبْقَى مَرِيضُهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْجِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
 وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجُدْعَ مُعْرَضًا وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجُدْعَ مُعْرَضًا
 وَمَا أَقْبَحَ النَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا وَمَا أَقْبَحَ النَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُؤْوِلُ إِلَى بِلَى وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُؤْوِلُ إِلَى بِلَى
 وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا
 وَمَاذَا أَرَجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرْتُ وَمَاذَا أَرَجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرْتُ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ عَارِسٍ وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ عَارِسٍ
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
 وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
 وَيُمْكِنُ وَضْعُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ وَيُمْكِنُ وَضْعُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
 وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
 وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى العُمرِ مَوْتًا وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى العُمرِ مَوْتًا
 وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
 وَمَنْ يَتَشَبَّهْ فِي العَدَاوَةِ كَفَّهُ وَمَنْ يَتَشَبَّهْ فِي العَدَاوَةِ كَفَّهُ
 يَهُوَى الشَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ يَهُوَى الشَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ
 يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
 ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
 فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّاسِ شَامِلٌ فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّاسِ شَامِلٌ
 سَبَبُ لِحْمَعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ سَبَبُ لِحْمَعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
 تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
 وَلَوْ قَدَصَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ وَلَوْ قَدَصَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
 وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لَا يَسُ وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لَا يَسُ
 وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
 كَمَا خُطِّي فِي الْقُرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ كَمَا خُطِّي فِي الْقُرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
 وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
 كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
 كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
 بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
 حُبُّ الشَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ حُبُّ الشَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ السَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنِ السَّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بازٌ وديكٌ تناظراً . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرَفُ أَقْلًا
وَفَاءً مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوَخِّدُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيَطْعَمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُؤُوكَ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدْتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحْتَ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طَرْتِ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُوخِذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَتُخَاطِبُنِي . وَأَطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسِي الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أُطَاقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَدِ النَّارِ
مَا عَدْتَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِيدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ
(لبهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرِغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرِغُوثِ :
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَعُ بَيَانًا .
وَأَرْجِحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْهُجُوعَ . وَلَا أزالُ عَلِيَّةً مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْعُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُنْطَنِّطَةٌ . وَعَلَى رُؤْسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوْتِي . لِسَبَبِ سَكُوْتِي

اللبوة والغزال والقرد

٨١ حكي أن لبوة كانت ساكنة بغابة . وبجوارها غزال وقرد قد
ألفت جوارها واستحسنت عشرتهما . وكان لتلك اللبوة شبل صغير
قد شفقت به حبا وقرت به عينا . وطابت به قلبا . وكان لجارها
الغزال أولاد صغار . وكانت اللبوة تذهب كل يوم لتبغى قوتا
لشبلها من النبات وصغار الحيوان . وكانت تمر في طريقها على أولاد
الغزال . وهن يابعن بباب حجرهن . فحدثت نفسها يوما باقتناص
واحد فتجلمه قوت ذلك اليوم وتستريح فيه من الذهاب . ثم أقبلت
عن هذا العزم لحرمة الجوار ثم عاودها الشره ثانيا مع ما تجد من
القوة والعظم . وأكرد ذلك ضعف الغزال واستلامه لأمر اللبوة .
فأخذت ظيما منهم ومضت فلما علم الغزال داخله الحزن والقلق
ولم يقدر على إظهار ذلك وشكا لجاره القرد . فقال له : هون
عليك فلعلها تفلح عن هذا ونحن لا نستطيع مكاشفتها ولعلي أن
أذكرها عافية العدوان وحرمة الجيران . فلما كان الغد أخذت ظيما
ثانيا فلقيتها القرد في طريقها فسلم عليها وحياها وقال لها : إني لا آمن

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلِ افْتِنَا صِي لِأَوْلَادِ
الْغَزَالِ . إِلَّا كَافْتِنَا صِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوْتِي وَقَدْ
سَاقَهُ الْقَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْفَيْلُ بِعَظِيمِ
جُسْتِهِ . وَوَفُورُ قُوْتِهِ فَبَجَتْ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْمِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبَنِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتْ اللَّبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقَرْدُ : ذَكَرُوا أَنَّ قُبَيْرَةَ
كَانَ لَهَا عَشُ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فَيْلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشِّ الْقُبَيْرَةِ .
فَنَبِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعَشِّ وَوَطَّئَهُ وَهَشَّمَ
رُكْنَهُ . وَاتَّخَفَ بَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقُبَيْرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعَشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عَشِّي
وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنَّنَا فِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْفَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَأَنْصَرَفَتِ الْقُبَيْرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفَيْلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفَيْلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْعَقَاقِقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَنَنْقُوهُ
عَيْنِيهِ . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْفَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْفُرُونَ عَيْنِيهِ إِلَى
أَنْ فَتَتْ وَهَمَّهَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ . فَقَالَتْ
الضَّفَادِعُ : مَا حَيَاتُنَا مَعَ الْقَيْلِ وَلَسْنَا كُنَّا هُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
الْقُنْبُرَةُ : أَحِبُّ مَنْكُنَّ أَنْ تَذَهَبِينَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْفَنَ
تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتِكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنْ يَبْهَأَ مَاءً فَيَكِبُّ نَفْسَهُ فِيهَا .
فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْخَمْرَةِ
تَوَهَّمَنَّ أَنْ يَبْهَأَ مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكَبًّا عَلَى طَابِ الْمَاءِ
فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُنْبُرَةُ تُرْفِرُ عَلَى
رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَقُوتهِ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
جِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جِسْمِي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
عَاقِبَةَ الْبَغِيِّ وَالْعُدْوَانَ . وَهُسَامَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقَيْلُ مَسَاكًا لِحَوَائِبِهَا .
وَلَا طَرِيقًا لِحَطَائِبِهَا . فَلَمَّا أَنْتَهَى الْقَرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِابْتُؤَةِ مِنَ
الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْتَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ اتَّقَلَّتْ
بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا جُجْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْآبُوَّةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبَاهًا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَى حَمْلَ عَلَيْهِ فَفَتَلَهُ
وَسَخَّ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لِحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْآبُوَّةُ وَرَأَتْ شِبَاهًا
مَقْتُولًا مَسْأُولًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْتَلَاتُ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
وَمَا دَهَالِكِ . فَقَالَتِ الْآبُوَّةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
لَهَا : لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
 وَمَنْ بَدَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرُ بَذْرَهُ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
 مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِعِي مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ . فَبِمَاتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ لَا
 أَجْزَعُ وَهُوَ قِرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزُهَّةُ الْفِكْرِ . وَآيُ حَيَاةٍ تَطِيبُ
 لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : أَيُّهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغَدِّيكِ
 وَيُعَشِّيكِ . قَالَتْ : لِحُومِ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقِرْدُ : أَمَا كَانَ لِيَتَاكَ
 الْوُحُوشُ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ : بَلَى . قَالَ الْقِرْدُ :
 فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِيَتَاكَ الْآبَاءُ وَلَا الْأُمَّهَاتُ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا سَمِعَ
 مِنْكَ وَلَقَدْ أَنْزَلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
 وَقَدْ نَصَحْتِكِ حِينَ حَقَرْتِ حَقَّ الْجَوَارِ . وَالْحَقُّ بِنَفْسِكَ الْعَارُ .
 وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّبَّاءِ الضَّعَافِ .
 فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصِّدِّيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : وَجَدْتُهُ
 صَرًّا الْمَذَاتِ . وَلَمَّا عَلِمَتِ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
 الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّؤْمِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
 بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشْدِشِ الْفَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِتِّفَاعِ بِالْحَاضِرِ
 ١٢ حُكْمِي أَنَّ سَاعَةَ قَدِيمَةً كَانَتْ مَرَكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يَكْدِرُهُ . غَيْرَ
 أَنَّهُ فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
 أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْمَحَلِّ . فَغَيَّرَ مَنْظَرَ وَجْهَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدَهَشَ .
 وَبَدَلَتْ الْعُقَابُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
 وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمِلَهَا مِنَ التَّعْجِبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
 وَقِيمًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذُّبَّ عَلَى أُخْتِهَا
 وَطَفِقَ الْوَجْهَ يُبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
 وَالْعُقَابُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتِ خَفِيِّ يُسْمَعُ مِنَ الدَّقَاقِ
 بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقِرُّ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
 عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَأَبِّينَ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
 أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَأْتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا سَمِعَتْ السَّاعَةُ
 مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهَ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
 تَبَّ لَكَ مِنْ سِلَاكِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
 الْوَجْهَ : لَا جَرِمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ
 كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يُسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَلًا
 وَتُنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
 يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّخْدِيقُ فِي وَجْهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
 بِرُؤْيَا مَا يَجْدُثُ فِي الْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكَ
 مُظْلَمٍ كَهَذَا . وَتَجِيزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ حَمِيٍّ وَذَهَابِ يَوْمًا بِبَدْيِ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوْلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَائِفَةٌ تَنْظُرُ
 مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : بَلَى . وَكَيْفَ مَظْلَمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي
 طَائِفَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّلَطُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَيْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ اسْتَرَدَدْتَنِي شَرْحًا .
 فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الضَّجْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
 صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ
 وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
 أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقَ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَّاقِ إِلَى الْعُدَدِ وَقَالَ
 بَدِييًّا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْحُجْبُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
 الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ
 الدَّقَّاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَهِيَ قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ
 أَنَّ مَجْرَدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا إِنْ يُعَانِيهِ . عَلَى
 أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَّاقِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
 وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهَنَ عَظْمِي وَعَزْمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
 وَبَعْدَ تَخَيُّلاتِ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ
 فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالِمَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ عَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
 بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَّاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَقِي تَعْجَبَ عَظِيمٍ مِنْ
 انْتِقَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَعْتَةً . نَعَمْ
 إِنَّكَ وُلَيْتَ فِي عُمْرِكَ أَعْمَالَ جَسِيمَةً كَمَا عَمَلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحَدَهُ يُوجِبُ الْعِنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَالْتَمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْأَنْسِتَ دَقَّاتٍ لِيَتَضَخَّ بِصَدَاقِ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقُّ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حِينئِذٍ : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْأَنْ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقُّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِي وَتَضَجُّرِي لَمْ يَلْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَن سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَن
 الْوَفِّ وَالْوَفِّ الْوَفِّ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تَتَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِلِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةً
 وَاحِدَةً لِأَخِيرِهِ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَنْسَخُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ الدَّقُّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَاكٍ فِيَّ وَأَمَانِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثَمَالَ الَّتِي لَمْ تُكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِفْظَةِ مَا بَرِحَتْ
 تُعْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفِقَتْ الْقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبَخِ الْمُتَمَلِّقِ مِنْ كُوَّةٍ فِيهِ أَمْتَلَا الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْبُسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيُفْطِرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةَ الَّتِي بِحِجَابِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لِئَلَّا يَنْخَوُّنَا لِثَلَاثِينَ دَقِيقَةً
 قِرْدٌ وَغَيْلِمٌ

وهو مثل من يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها
 ٨٣ زعموا أن قردًا يقال له ماهر كان ملك القردة وكان قد كبر
 وهرم . فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ
 مكانه . فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى إلى الساحل . فوجد شجرة
 تين فارتقى إليها وأخذها له مماماً . فينما هو ذات يوم يأكل من
 ثمرها . إذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتاً وإيتماعاً . فجعل
 يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من تطريح التين فيه . وكان
 ثم غيلم كلما وقعت تينة أكهاها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما
 يفعل ذلك لأجله فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلمه . وألف
 كل واحد منهما صاحبه . وطالت غيبة الغيلم على زوجته . فجزعت
 عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت : قد خفت أن يكون عرض
 له عرض سوء فأغتاله . فقالت لها : إن زوجك بالساحل قد ألف
 قرداً وألفه القرد . فهو موأكله ومشاربه ومجالسه . ثم إن الغيلم انطلق
 بعد مدة إلى منزله . فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة . فقال لها :
 ما لي أراك هكذا فأجابته جارتها : إن فريقتك مريضة مسكينة . وقد
 وصفت لها الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه . فقال : هذا أمر
 عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن سأشاور صديقي . ثم

أَنْطَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْغَيْلِمُ : مَا ثَبَّتَنِي عَنكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي .
 فَأَنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةٍ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةٍ الْأَثْمَارِ . فَأَرْكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَعِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَنَزَلَ فَأَمْتَطَى مَطَا الْغَيْلِمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ قُبْحٌ مَا أَصْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ فَتَنَكَّسَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ الْغَيْلِمُ : إِنَّمَا هَمِّي
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِينَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلِغَكَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 اعْتَقَدْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغَيْلِمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَسِبُ الْغَيْلِمَ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنَّا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَن مَوَدَّتِي فَأَرَادَنِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لِأَشْيَاءٍ أَخْفُ
 وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَدْبِغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ التَّمَاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لِحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 دَابَّ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفُظِ مِنْهُ وَيَتَّقِدْ
 ذَلِكَ فِي لِحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بِاطِّلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلِمِ : مَا الَّذِي

يَجْسُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُلْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقَرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 التَّمَسَّ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتُ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْقَرْدُ فِي نَفْسِهِ : رَأْسُوه تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مَوْرَطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ التَّائِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ أُخْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 التَّمَاسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَعْلَمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أُحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقَرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلْفَ قَلْبِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلْفَتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا حَاطِلِي أُحْمِلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَقَمْتَنِي . وَقَالَ الْقَرْدُ . هِيَآتِ
 وَلِكِنَّكَ أَحْتَلَّ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
 الْغَيْامُ : صَدَقَتْ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
 ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيَ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
 كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
 مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمُدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا ضَبْعَةً فَفَنَرَتْ
 وَمَرَّتْ فَاتَّبَعُوهَا . فَجَاءَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُولا .
 فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا أُسْتَجَارَتْ بِي
 فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
 الْمَاءَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوعًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
 يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ :
 وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمَّ عَامِرٍ
 أَعَدَّ لَهَا لَمَّا أُسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ
 فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنَتْ فَرَّتُهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَظْفِيرِ
 فَقُلْ لِذَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسَهُ
 ٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ: ذَيْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ أَوْى. وَإِنَّ رِعَاةً مَرُوا بِذَلِكَ
 الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ. فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ وَقَدَّخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
 إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
 كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تُقِيمُ
 عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ. فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
 الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَطَابِ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَذَاتَ لَيْلَةٍ
 قَتَلَا شَدِيدًا وَأَفَلَّتْ مِنْهُ مُثَقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
 أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أُنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكُدْ يَبْصُلُ إِلَى مَسْكَاةِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
 يَسْتَطِيعُ حِرَاكَ وَحَرَّمَ طَابَ الصَّيْدِ. فَلَبِثَ الذَّيْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
 وَفَوَاضِلِهِ. فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
 فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَتَمَنَّا
 أَنْفُسَنَا. لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا رَأَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ. قَالَ
 الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لِعَائِكُمْ تَصِيبُونَ
 صَيْدًا فَأَكْسِبِكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذَّيْبُ وَالغُرَابُ وَابْنُ أَوْى
 مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَخَوُّوا نَاحِيَةً وَأَثْمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: مَا لَنَا وَهَذَا
 الْأَكِيلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ وَنْ شَأْنُنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا.
 الْأَزِينُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ أَوْى: هَذَا مِمَّا
 لَا يَسْتَطِيعُ ذِكْرُهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يَصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيَبْصُرُ .
 وَنَحْنُ فَلَاسَعِي لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنْ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَلِكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغَ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعْتَبُ بِصَلْحَةٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَارَ أَيْكَ . وَمَا عَجَزَ مَقَالِكَ وَأَبْعَدَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَتَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَدِمْتَ أَيُّ قَدْ أَمَنْتُ الْجِدَلَ وَجَعَلْتَ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَّنْتَهُ وَاسْتُ
 بِالْغَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ الْبَشَرُ
 الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمِ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ زَلَّتْ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَفَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلِ : عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَ أَمَّا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ ،
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيُرَدُّهُ الْآخِرَانِ وَيَسْفِيهِ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ أُحْتِجَّتْ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُتَمَوِّيكُ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ يَا نَابِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَتَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذَّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ : أَسْكُتْ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشِيْعُ الْمَلِكِ . فَلْيَا كُنِّي فَقَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَردَّ عَلَيْهِ الذَّبُّ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِرٌ . قَالَ
الذَّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِ مَنِي
وَإِخْلَاصِ طَوْبِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطْبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلْ لَحْمَ ذَبِّ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوَالَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسُّ بِعَضْمٍ
لِبَعْضِ قَيْسَلَمٍ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طَيْبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ وَيَطْعَمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشْمَهُ . فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذَّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَتَدْصَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمُ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ

(كليله وودمنه)

إنهم وثبوا عليه ورفقوه

الجدي السالم والذئب التادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ لَذِئْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلْبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لَذِئْبِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
الْأَيْمُسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ الضَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادَ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَسَيِّطًا . وَمِنَ الذِّئْبِ عَلَى مَا شِئْتَهُ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يَرِاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَأَلْحِرْصُ وَالشَّرْهُ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَالذِّئْبُ عَائِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذِّكِيُّ .
فَأَدْرَكَهُ الذِّئْبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمْلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَأَسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذِّئْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُضْبِهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَأَسْتَحْضَرَ حِمْلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا الْمُغِيثُ الْحِدَاعُ وَالْحِمْلَةُ . وَأَذَكَرَهُ مَذْكَرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي أَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
فَتَدَمَّ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبِلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذِّئْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجَبِّدٌ
الرَّاعِي . لِحَبَابِكَ دَاعِيٌ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَسْمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

إِبْرَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظْرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِنِعَافِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجَوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفِرْعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجُرْعِ . فَسَيَجْعَلُ جَوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِعٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَأَنْتَعَشْتَ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مَكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مَصَادِقَتَكَ وَمَصَافَاتَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أُذْنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغِنَاءِ . وَصَوْتِي يَدُ شَهْوَةِ الْغِذَاءِ . فَإِنِ اقْتَضَى رَأْيُكَ
 أَلَّا سَعُدَ . غَنَيْتِكَ غِنَاءً يُبْسِي أَبَا اسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوشِي لَمْ يَضْرِبْهُ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَعْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يَتَوَيَّ كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ فَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَأْكَلَكَ . وَيُسِينِي مَأْمَلَكَ . وَإِنَّ صَوْتِي
 اللَّذِيذَ . أَلَذُّ لِلجَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيدٍ . وَخُبْرَ سَمِيدٍ . وَلَعَطْشَانَ مِنْ قَدَحِ
 نَيْدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَمَّاكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالَكَ .
 فَعَنَّ مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجُدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحَشَا يَهْوَى جِرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَائِلَ عُجْبًا وَعَجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَمِّ . فَأَرْفَعَ صَوْتَكَ فِي الزَّرِيرِ . فَقَدْ أَنْجَلْتَ
 الْبَلَابِلَ وَالزَّرَازِيرَ . وَزِدْنِي يَا مَعْنِي . وَعَنَّ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجِدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَنِمَ الْجَدِّيَ الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بَعِيْطِهِ الْغُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرُ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَيْنَ الْمَوْتِ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَأَدَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفِتَاقُ . وَقَالَ :

تَهْرَأْتُمْ أَنْظُرُوا حَيَّيْ أَبُو مَدَقَّةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمَطْرِقِ يَعْذُو . فَلَمَّ يَشْعُرُ الذَّبَّ الدَّاهِلُ .
وَهُوَ يُحْسِنُ السَّمَاعَ غَافِلُ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلُ .
فَرَأَى الذَّبَّ الْغَنِيْمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِّيَ
وَأَفْلَتَ . وَنَجَّاهُ مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَفَّتُ . إِذْ
تَفَلَّتَ . وَأَهْمَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الدَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ قَانَ . أَوْ أَبِ مُفْسِدِ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمُثَالِثِ وَالْمُثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِمْرَةِ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَجْرُقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرَّ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرُّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَا وَاهُ . وَكَانَ أَقْطَقُ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَآلَفَ مِنْهُ الْمُوَدَّةَ وَالْمَقَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
 مَبِيَّتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
 أَمْرٍ وَحَالَ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَدِّيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
 تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يُسَخَّرُ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْقَارِ عَمْرُو
 وَزَيْدٍ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرِئِيسِ الْجُرْدَانِ . وَبِجِوَارِهِ
 مَخْرِنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَهْلِ مَا
 يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطِّ أَمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
 وَكَرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخُلاُوفِ وَالْمُزَاجِمِ .
 فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَاسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْهُدُوءِ .
 وَافْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
 الْقَطُّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْمِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
 الْإِلْتِحَالِ . وَضَعْفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالِإِذْتِمَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ إِسْبَابُ
 ضَعْفِهِ . وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَا يَسُ
 لَهُ عَلَى حَالَةٍ اسْتَمْرَارٍ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
 عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهْبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيَرْجِعُ
 فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطُّ إِلَى
 مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ فَاقَهُ . وَيَفُورُ
 حَنَقَهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأُضْطَرُّ
 إِلَى التَّحْوِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السُّكْنِ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْغَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِنَاصِ
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ ائْتِمَاسًا لِأَسَدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَأَدَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصُّلْحِ بَسَاطِ الْاِنْبِصَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 اَلْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجَلَبَ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرَبَّ عَلَيْهِمُ الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اَلِاتِّفَاقُ مِنَ الْعُقُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجُرْدَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 اَلْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ السَّيِّحَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ اَلْمَالِ مَا
 وَقِيَتْ بِهِ االنَّفْسُ . إِلَى أَنْ يَبِيحَ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيشِهِ رَغَدُهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ اَلْخُبْزِ وَالجُبْنِ وَاَللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَّرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِقِيَّتِهِ . وَقَدِمَ مَقَامَ اَلْهَرِّ وَسَأَمَ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبِيرٌ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ اَلِاشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُ عَلِيٌّ . وَيَعْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْاِضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اَللَّهُ هَذَا
 اَلْجُهْدَ وَاَلضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ اَلْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَسَاوَلَ اَلْقَطُّ
 مِنْ تِلْكَ اَلسَّرْفَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ اَلصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ اَلْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَارِ اَلصَّدُوقِ . عَلَى اَلجَارِ اَلشَّفُوقِ .

وَارَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّرَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَتِ الْحَبَّةُ الْمَوَاتِقَةَ .
 وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَفَتَرَكَ مِنْ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْحُصْلَةَ
 الذِّمِّيَّةَ . وَنَسْتَأْنِبُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْمُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
 لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
 إِلَى الصِّرَاطِ الْأُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنْ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
 فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسَمَنًا . فَإِنْ أَمَّنْتَنِي مَكَرَكَ وَرَغَبْتَ فِي
 صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَآكَدْتَ ذَلِكَ لِي
 بِعُقُودَاتِ الْأَيَّانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَمْنًا فِي حُجَّتِكَ
 وَدَهَابِكَ . وَوَوَّكْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَإِنِّي أَلْتَرَمُّ لَكَ كُلَّ
 يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهَجَّتَكَ .
 صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ . هَذَا الْهَرُّ . أَعْجَبَتْهُ هَذِهِ
 النَّعْمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النَّعْمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
 إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
 فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقَطَّ كُلَّ يَوْمٍ
 بِمَا أَلْتَرَمُّ بِهِ مِنَ الْعَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقَطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
 خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقَطِّ دِيكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
 وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
 جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيَكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِهَمَّا لِقَاءً .
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقَطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَدَيْكَ : بَمَاذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْنَاءِ . فَصَحَّكَ أَلَدَيْكَ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَصَحَّكَ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَطْنِكَ .
 وَأَنْبِيَاءِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَاشِكَ وَمَخَادِعِكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبُرْمِ . أَلْوَجِبَ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُنْفَسِدِ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤَذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَالِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عَهْدَهُ . وَتَقْبُضُ
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرَمْنِكَ مَا يَسْرُهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حَشَرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ الْوَالِصِلُ إِلَيْكَ . لَمَتَّ هَذَا
 وَجُوعًا . وَأَاعَشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ سَمِعْتَ أَنَّ جُرْدًا صَادِقَ هِرَّةٍ . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مِرَافَقَةٌ . فَمُنَا صَحَّةٌ
 الْقِطِّ وَالْفَارِ . كَمُصَادَقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِطُّ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلدَّيْكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبْرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرَ . وَقَالَ : لَمَّا غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتٍ
 مِنْ الْحَرَامِ . وَأَلْسُخَتْ الْمُنْعَمِيسُ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْفَلْحِ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمُسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَعُ فِيكَ

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطَاعَنكَ عَلَى مَا قُلْتَ
 إِلَّا مِنْ فَرَطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقَطْرِ
 فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينِ
 أَنْفَلَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَّتْ
 لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لَشَيْءٍ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَعْدَ مِنْ
 أَنْ يُخَدَعَ . وَأَجَلُ مَنْ أَنْ يُعْشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
 صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
 وَرَبُّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
 مُنْخَفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ نُزُولِ
 مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
 يَتَّقِبُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
 أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْمُحَاوَرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ . دَخَلَ أَبُو
 جَوَالٍ . وَهُوَ عَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَنْظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
 عَزْرَانَ . فَخَسَّ وَفَهَّمَهُ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ عَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
 وَقَدَّرَ . فَأَشْمَازَ لِرُؤُوسِهِ الدِّيكِ وَأَسْمَعَلَ . وَأَنْتَضَّ وَأَبْرَأَلَ . فَأَرْتَعَدَ
 الْجُرْذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيَكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَنْتَفَشَ وَأُزْوَى .
 وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا .
 وَالْقَطْرِ يُرَاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَيَتَمَيَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . تَحْقِيقًا مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
 وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُسْتَقِيمِ . وَهَمَّ وَكَفَهَرَ . وَرَقِصَتْ سُورَابُهُ وَأَزْبَارُ .

وَسَيِّ الْعُهُودَ وَالْأَيَّامَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانٍ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ ، وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَامَ بَعْضِ عِيدِهِ الصُّلْحَاءِ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهَدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . وَقَبِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُدْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُتَمَنِّتٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِاللِّسْبِجِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْقَفْصِجِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّلَاجِ وَالتَّقْبَاءِ وَالدِّيَاجِ لَا تَتَعَدَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَتَالَ الْهُدْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسَلِكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأَظَنَّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فَحًّا . يَرُومُ لِي فِيهِ رِخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفَرِّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّيْحِكِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قِفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَتَبُّهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خَزَعِيلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُدْهَدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَعْصْفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ يَهِينِهَا تَقَاسِي عَذَابِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِيقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
فَنَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عِبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ الْخَلْعِ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَنَاهِيكَ فَضِيحَةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا غَوِيَ
وَأُغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ أَشْتَهَرَ أَمْرَهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
أُغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يُجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَغَطَّتْ حِدَّةٌ
أَسْتَبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخِّ اغْتِرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَعُغْدْرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَا وَخَيْرٍ . يُزَجِّي
الْأَوْقَاتَ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكَلَّمَا تَحَرَّكَ بِمَجْرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
حَتَّى لَوْ عَاصَ فِي تِلْكَ الْجِبَارِ وَالْعُغْدْرَانِ لَمْ يُخْرِجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ .
وَأَرْتَجَّ لِقَوْتِ قُوْتِهِ أَبْوَابَ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوْتِ . فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ
مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ . وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّفَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
 سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْتَطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقَهُّمُ .
 ثُمَّ بَعْدَ أَتْلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى أُبْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
 اسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
 الْبَرُّغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْعَصْفُورُ وَدَسْمُهُ . أَسْمَعُ يَا جَارَ الرَّضَا . وَمَنْ نَعْمَرْنَا
 فِي صَوْنِهِ أَنْقَضَى . لَا تَعْجَلْ فِي أُبْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . فَبَقِيَ
 بَقَايَ قَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
 أَسْمَكَ فَالْكَلَّ عَيْدَهُ وَرِعِيَّتَهُ . وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
 إِنِّي وَاحِدٌ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النَّذُورَ . حَتَّى
 حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي أُبْتِلَاعِي كَسِيرُ فَايِدَةٍ . وَلَا أَسْدُ
 لَكَ رَمْمًا . وَلَا أَشْغَلَ لَكَ مَعْدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَقْفَرَنِي فِيمَنْ
 أَحَبُّ وَلَا أَسْتَعْنَى فَأَلْأُولَى أَنْ أَقْرَعِيكَ . وَأَعْرَفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
 فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافِقَةِ .
 وَيَحْمَلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
 أَعْتَبْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطَابْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
 سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
 يُرْسِلُهُ إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
 وَلَا كَدٍّ تَحْمَلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا الْعُجُونُ . أَعْرَاهُ
 الطَّمَعُ . فَمَا أُبْتَلَعَ . بَلَّ سَهًا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعِيدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَبَجْرَدٍ مَا فَتَحَ قَاهُ بِالْمَمْزَةِ . اُتَمَلَّتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْزَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أوردتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَتَأَمَّلَ عَقْبِي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ .

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَضِّ الْأَثَرِيِّ لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمُعَارِبِ . وَوَدَعَى عَلَيْهِ
 مِنَ الْعُمُرِ سِنُونَ . وَأَطَاعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ تَلِي فُؤُونٍ . وَوَدَّاسِي
 حُلُوهُ وَمَرَهُ . وَعَانَى حَرَهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِثَعَالِبِ شَبَابِكِ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ رَطَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَنِيهِ
 نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبِ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حَيْلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَابِ .
 فَأَتَنَّقَ لَهُ فِي بَضِّ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَضِّ الْجُدْرَانِ . فَنَظَرَ
 فِي عِظْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَقْشِ بَرْدِيهِ . فَرَأَى خَيْلَ تَاجِرِهِ الْقَيْطِيِّ .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيئِيِّ . وَنَبَضَ بَرَائِلَهُ الْمُنْشِ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنْشِ .
 وَالثَّوْبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَقَاشُ الثُّدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرِقِشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَأَذَّنَ فَاظْرَبَهُ حِسَّهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَجْتَرُ . وَيَتَصَفَّ .
 وَيَتَخَطَّرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّيُّ سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّمِيعةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدِ انْتَصَفَ النَّهَارَ . فَرَفَعَ صَوْتَهُ الْإِذَانَ . فَأَذَى
صَوْتَهُ الْكُتَّانِيَّ وَالِدَهَانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطَابٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَأَدَا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانَ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلِمَاتِ الْحَيَاةِ غُفُوكَ وَصُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النَّعْمِ وَالصُّبْحِ فِي الْإِذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَابِ الْقُوْتِ . وَهَصَابِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدِي مِنَ النَّعْمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَبْجَعُ مِنَ الْوَلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَنْفِقْ مِثْلَهَا فِي سَائِلِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَعَنَّيْهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرًا مُنَادِيًا فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّنْحَبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بَسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلُ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيْتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوَحْشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبِهَائِمُ وَالصَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّقْرُ وَالْحَدَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذُّبَابُ وَأَبُوقَلْمُونٍ . وَتَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِسْعَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسَنُ

الْمَعَاشِرَةَ وَالْمُرَافِقَةَ . فَشَفِي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشُ الْعَدَاوَةِ
 وَالْمُنَافِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُتَابَ . وَيَبِيْتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْعَى الذَّبَّ مَعَ الْأَرْبِ . وَيَتَاخَى الدِّيكُ وَالشَّعْبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْفَأْرَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بَدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمُرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْمَحَبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مِمَّنْ مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيَبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الشَّعْبُ يَقِرُّ هَذَا الْمَقَالَ . وَالدِّيكُ يَتَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْهُذْيَانِ وَالْحَبَالِ . فَقَالَ الشَّعْبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبَشْرُكَ بِبَشَارٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّقْ فِي الْأَعْصِرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَّاسِيمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَتَلَفَّتْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرُ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِّ . وَلَا تَتَلَفَّتْ
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلْ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفْ عَلَيَّ بَعْدَ شَيْءٍ . فَهَلَّا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتَطْلَعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَائِرًا . وَنَقَعًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أُجْرِي مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْخُصْبَيْنِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . بِاللَّهِ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْحَيْلُ تَحْقَهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّمَلَبِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبِ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : تَابَتْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَاتَّبَعْنِي مَاهِيَّتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادِي يَا أَبَا النَّجْمِ . يُخْلِفُ النَّجْمَ فِي الرَّجْمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ الْمُنَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَّ التَّاجِ الْعَقِيْقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلْوَقِي

فَقَالَ الْمُدْرِكُ : وَإِذَا كَانَ وَقْدُ قَتِ انَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّخْرِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانَ . وَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْتُ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَنَعُدُّ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمَصَادِقَةِ . وَيَصِيرُ رَفِيئًا وَنَصِيرَ رِفَائِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فِدَعْ عَنْكَ الْمُحَاجَّةَ وَاللِّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمُرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَا
قَابَهُ الْمَأْكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالْحَلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَبْلُغْهُ
الْمُرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْإِلَاصِ جَانِبًا

للجمل والمخ

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَدَّشُ عَلَيْهِ . وَيَتَهَوَّتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صِلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ .

فَجَدَّ فِي تَثْقِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَا زَمَتَهُ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالُ لَا يَقُ لَهُ بِجَالٍ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِعَالِ . فَنَبِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْمَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَا . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزْرُ هَزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْمَلْحَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِلْمَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَضَرُّرِ هَذَا الدَّمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ذَوَّرَ وَجْهَ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِفْتِاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْإِرْتِهَاصِ وَالْإِرْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرِّصَاصِ . فَهَلْ يَعْتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَا حَةِ مَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَوَصَّلْ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَفَرَّغْ . وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْمَلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكَرَّرَ هَذِهِ الْحُرْكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَإِمَّا أَنْهُمْ يَغَيِّرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُوهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضَعُوهُ . فَتَحْمَلُ
الْجَمَلُ الْأَرْبُ الْمُنَّةَ . وَشَنَّفَ بَدْرُ هَذِهِ الْقَائِدَةِ أذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْحِمْلَ الْمَعْهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَكُ . وَحَمَلُ ضَرْبِهِ وَعَسْفُهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْحَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
 الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِمْلَةَ .
 فَأَتَتْكَ لَهُ فِي دَاهِيَةٍ وَبَيْلَةٍ . وَعَمِدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ . وَغَيْرِ فِي مَقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيِيَةً وَثِقَلًا . وَسَاطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءُ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَلُؤُ الْبَرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 التُّهُؤُصَ . فَتَاءَ بِهِ الرُّبُؤُصَ . فَتَقَامَى مِنَ الْمَشَاقِّ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَيْبِلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمَسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْقِيلِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمثال مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أوردتُ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحَضَارُ . أَنَّ الْعُدُوَّ الْعُدَارَ . وَالْحَسُودَ
 الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيَفْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا
 كَمَا هِيَ . وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَارَةً
 يُغْفَلُ عَنِ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ بِالْخُصْمِ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا يَبْدُ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البيستاني والاربعة العاشرن بحته

٩٢ . كَانَ مِنْ تَكْرِيْتِ رَجُلٍ مَسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبُسَاتِينَ . فَقِي

بعض السنين . قدم فرية منين . وسكن في بستان . كأنه قطعة من
الجنان . فيه فاكهة ونخل ورمان . ففي بعض الأعوام . أقبلت الفواكه
بالإنعام . ونثرت الثمار ملابس الأشجار من الأذْيَالِ وَالْأَكْمَامِ .
فألجأت الضرورة ذلك الإنسان . أن خرج من البستان . ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربعة رجال . أحدهم جندي والآخر شريف .
والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف . قد أكلوا وشبوا . وناموا
وأنفقوا . وتصرفوا في ذلك تصرف الملاك . وأفسدوا فسادًا فاحشًا
خادشًا . ومارشًا وناوشًا وناكشًا . فأضرب ذلك بحاله . ورأى أنجز في
أفعاله . إذ هو وحيد . وهم أربعة وكل عنيد . فسارع إلى التأييد .
وعزم على التقييد . فابتدأ بالترحيب والبشاشة . والإكرام والبشاشة .
وأحضر لهم من أطيب الفاكهة . وطايبهم بالفاكهة . وسامح
بالمزاح . ومزح بالمسامحة . إلى أن أطمانوا وأستكنوا وأستكنوا .
ودخلوا في اللعب . ولاعبوه بما يجب . فقال في أثناء الكلام : أيها
السادة الكرام لقد خزمت أطراف المعارف والأطراف . فأني شيء
تعاون من الحرف . فقال أحدهم : أنا جندي . وقال الآخر : أنا
شيخ القضاة جندي . وقال الثالث : أنا فقيه . وقال الرابع : أنا تاجر نبيه .
فقال : والله لست بنبيه . ولكن تاجر سفية . وقبيح الشكل كرية .
أما الجندي فإنه مالك رقبانا . وحارس حجابنا . يحفظنا بصواته .
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته . ويجعل نفسه لنا

وَقَايَةً . وَيُنَكِّي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ زَكَايَةً . نَلُوهُ مَدِيدَهُ إِلَى كُلِّ مَنَا وَرِزْقِهِ .
 فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَاقِهِ وَدُونَ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
 مَسْكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
 مُرْشِدُ الْعَالِمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَّفُونَا
 بِأَقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّامِهِمْ . فَهُمْ الْأَنْضَلُ عَلَيْنَا . وَالْمَلِيَّةُ
 الْوَالِصَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَأِيَهُمْ . وَشَرَّ جَانِّ تَابِعِهِمْ . يَايَ طَرِيقِ
 تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي رُومَانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِسَاحَةِ .
 وَتَرَكْتَ لِي الْمِرَاجَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دِينَ . أَوْ عَامَانِي نَسِيَةً دُونَ دَيْنِ .
 أَلَكِ نَلِي جَمِيلَةٌ . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَتَخَفِي تَنَاوُلَ مَالِي .
 وَالْهُجُومَ عَلَى وَاكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رِفَائِهِ
 أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلامِ . وَأَعْتَدَرَ عَمَّا يَنْطَرِقُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَلَامٍ . فَلَاوَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . رَهُوَ نَلِي
 الْخَلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . رَعَانَزَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ نَلِي النَّهْيَةِ الْخَظْرِيَّ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مِنْتِي الْمَسَاكِينِ .
 وَعَالِمُ بِمِنَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارَ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتِكَ الْفَارِقَةُ
 بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . بِقَتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءُ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْدُّخُولِ فِي
 هَذَا . أَفْتِنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ النُّعْمَانُ .
 أَمِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمِ مَالِكُ . فَبُجَّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَبُوثُ
 وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهَلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا أُرْتَكِبَ مِثْلُكَ هَذَا الْمُحْظُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءُ
 وَالْمُقْتُونَ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيهِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَابِيهِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآمَاهُ رَبَاقًا . فَاسْتَسْجَدَ بِصَاحِبِيهِ إِلَى جَانِبِيهِ فَمَا أَمَجَّدَاهُ
 وَلَا رَقَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ إِلَهِي . الْجُنْدِيَّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ الْحَيِّدُ الْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَثْقِلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرٍ خَظِيرٌ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّامَةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
 وَالْفَضْلِ الزَّاهِرِ سَلَفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدَّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَعْتَبْ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِيَّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَأَنْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ أَحْتِيَاظًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحَبِيرَانَ . وَأَسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانَ . وَجَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيصٍ وَغَمَالِي . وَإِنَّمَا أوردتُ مَا جَرَى لَتَعَلَّمُوا أَيُّهَا الْمُوزَرَاءُ أَنَّ
 التَّنْفِيذَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيذِ . أَمْرٌ مِنَ السَّهَامِ فِي تَفْهِيمِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّنْفِيذِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

أَلْبَابُ السَّابِعِ
فِي الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصَّبْرُ

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابَ لِلاَظْفَرِ الصَّبْرُ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ
جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرَكِ النَّجْحِ فِي الْحَوَائِجِ . فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلأَذَى مَسًا . وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفْوَهُ .
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينَهُ وَإِنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ . جَاءَ فِي الْمُبْتَهَجِ :
الصَّبْرُ أَحْمَى بِذِي الْحَجِّجِ . وَقَالَ حَكِيمٌ : تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعِ النَّصْرَ
(للمقدسي)

٩٤ قَوْلُ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا أُشْمِلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَتِ الْمَكَارَهُ وَالطَّمَّانَتْ وَأَرَسَتْ فِي مَسَاكِمِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِأَنْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيْثِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الدُّسْتَيْبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَهَاتَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ :

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَازِقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يُخْنَهُ الْعِرَاءُ

إِنْ أَلَمْتُ مُلِمَّةً بِي فَإِنِّي فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
حَازٍ فِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَأَبْلَوَاءُ
وَأَنشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَإِنِّي لِأَعْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرَ ضَيْقِي
وَكَمْ مِنْ فَتَى خَافَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبِدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَدَلَةً
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُجَاوِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا فَدُنَيْتَ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِيُّ :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يَكْسِفُ النُّجْمَ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَبْتَهْجِ

وَارْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَآخِرُ أَلَمِّ أَوَّلُ أَنْفَرَجٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فِي الْأَوْاءِ قَدْ يُحَدُّ الصَّبْرُ
وَإِنَّ الَّذِي أَبَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَنْتَ بَدْبُ
وَتَقَى بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِقَمٌ وَلَا
تَتَأَبُّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَرَفِ الْحُرُّ
جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
فَإِيسَ بِحَزْمٍ أَنْ يُوَعِكَ الْعُزْرُ
يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عَسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُرٌّ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَ مَطْلَبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الرَّءِءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِبُهُ أَصْطَبَارُهُ
قَالَ لَمْرَأُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ
وَلِلْحِلْمِ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً
فِي الْحِلْمِ سُدًّا بِاللَّسْرِعِ وَالشِّتْمِ
مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظُلْمِ

القنعة

٩٨ إِعْلَمَنَّ أَنَّ مِمَّا يَحْتَقِقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَذْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْذَارِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْغُومِ وَالْحَسْرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَّ الْخَلْقِ

بَلَاءٌ وَالْمَالُ الْفُقَرَاءُ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَالْكُذْبَاءُ . وَيُقَالُ : اِكْلُ شِبْرٍ قَامَةٌ مِنْ اَلْهَمِّ . وَقِيلَ :

لَقَدْ نَبَعَتْ هَمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَابْكَيْتُهَا تَوَثُّرُ الْعَافِيَةِ
وَمَا لِمَا رَضِيَتْ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
فَارْضَ بِحَالِ فُقَرَاكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ
طَوْرَكَ . وَوَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ . فَأَعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْحِكَمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حَظًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْيْتِهِ كَانَ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : اْمُطْرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَّاجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَطْرُقُ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَنْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كَلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ
فَالْآخِرُ :

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةَ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزُّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَإِشْتَرِ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

غَنَى النَّفْسَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ فَاغَةِ
فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فُقْرًا
قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ أَقْعَ بِالَّذِي أُوتِيَتْهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَهَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلَّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يُجَاسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ الْحُجَّابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَجِيءَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفُ عَلَى جَانِبِ الْبِسَاطِ
وَيُخَاطَبُهُ وَيَعُودُ مَمْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْأَصْصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَبْشُرُ عَلَى
مُحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جِهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَأَتْهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عِلَانِيَّتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجْنَفْتُ أَوْ لَأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاتَّغَرَّ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقْبِي
النِّسَةَ جَمِيلَ الطَّوِيَةِ لَا جِزْمَ عِلَامَرَهُ وَارْتَفَعَ قَدْرَهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ نَارِسٍ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُتَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَةِ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَّرَهُ اللهُ بِأَعْدَائِهِ

(للغزالي)

قَالَ شَاعِرٌ :

أَعْدَلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجُورِ يَنْخَمُ
الْجُورُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْمِيرُ مُنْعَمٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْمِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَأَشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . وَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يُرْكَبُ . وَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُفْعَةَ رَوَّقَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكَتُمْ مَلَكْتُمْ فَاسْرَبْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَتَهَرَّجْتُمْ . وَخَوَّلْتُمْ
فَعَسَبْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ
الْأَسْحَارِ نَائِدَةٌ لَا سِيَّامَ مِنْ قُلُوبِ أَجْعَمْتُوهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَيْتُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَامُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنَابٍ يَقْبَلُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(للهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ النَّعَالِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ أَيَّامَ وِزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نُكْرُصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْفَاقَ عَلَى
إِنْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِلاقٍ . وَأَحْرَبَ بَيْنَ تَعَدِّي الْحَقِّ فِي

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَانَ
الْمُتَّبِعِي أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْفَعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكْرَامِ . وَاكْتَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعْجَلُوهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعْرُدَ نِعْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْقَضُوا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تَاكُ الْكِرَامَاتُ
وَحَلَّوْنِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانُوا عَيْفَ ضَيْفِ الْكِرَامَاتِ
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي
لَا أَحْسِبُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلَفِهِ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرَتْ مِي عَلِيٍّ تَلُومُنِي
ذَرِبْنِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخَالِدُ الْتَى
تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
وَلَا يَهَاكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَاعِلُهُ
وَقَالَ آخِرُ :

يُفْنِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ
كَدَوْدَةِ الْقُرْمِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا
وَالْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
وَعَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْفَعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرَى يَسْبُحُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُعْجِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَاحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (للحوي)
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمَ دَيْنٍ عَلَى الْخُرِّ وَاجِبٌ
وَالْإِفْعَلُ لَا تَسْتَرْحُ وَتُرْحُ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَعْدٍ لِأَخَيْرٍ فِي وَعْدٍ بغيرِ تَمَامٍ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرَمًا فَاَلْمَطْلُ يَذْهَبُ بِعَهْدَةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَجْمَعَ الْأَفَاتُ فَاَلْبُجْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُجْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَثَنَى بِالْإِسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْنِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَأَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَدَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مِنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بِحَيْرٍ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّوْمِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِيَةٍ وَاللَّبْدِيَّةُ نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ
وَقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ المُسْتَنبِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمُحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ
وَلَرَبَّمَا طَعَنَ أَلْفَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْعَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْحَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاعَةً فَرِيَشُ الْحَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسَاكَ الْعُلَّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرٌ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِفَانِمِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رِجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 أَبْيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَمَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَادِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَأَسْتَشَارَةُ الْمُرءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَحَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لِأَنَّ أَخْطَىءَ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لابي نصر المقدسي)

وَلَتَدَّ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمُ الصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
 فَالِدْرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُهَيِّئِي مَا حَطَّ قِيَمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تُنْظَرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِرَأَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مِنْ تَشَاوِرِهِ ثَلَاثٌ فَخِذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالزَّمْ طَرِيقَهُ

وَلَا بِي الْأَسْوَدِ الدُّؤِيِّ :

فَمَا كُلُّ ذِي نَضْحٍ بِؤُوتِكَ نَضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نَضْحَهُ لَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحَقُّ لِلْإِيْمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ

مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفْنِدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدٌ غُبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حَقِيًّا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَهُوَ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَمِرٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تُؤْمِنُ عَوَالِيُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَصَّاتَهُ قَطَعْتَكَ .

وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقْتَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَارِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ قَحْمَ الْهَالِكَةِ .
فَصَارَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمِرْصَادِ إِنْ أَنَا لَهَا مِنْ أَحَبِّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعَرُ قَابِهِ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ . وَأَعَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَيْلِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيَسْهَرُ الْهَيِّنَ
وَيَكْثُرُ لَهُمْ . وَلَا بِي الْعَتَاهِيَةِ :

أَيَارَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تُصَدُّوهُ لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَدْلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَإِنْ طَرَفْتَنِي نِقْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِحتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
سَأْمَنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُهُونِي
كَتَبَ أَبُو بَشِيرٍ الْمُرُوزِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَابَ الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا بَلَا قَتَرَ صَفْوًا بَلَا رَتَقٍ
خَالِصَ فَوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لابن عبد ربه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهْ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
إِنَّ الْحَسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ أَمْجَهْدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحَسُودَ :
لَا يُجْزِئُكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ الْهَمَّ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنِ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ الْمُنْصَلِحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
فِي الْمُنْصَلِحَةِ فَالْأَسْنَةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَائِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةٌ أَجْزَاءُ
تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عِزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحِكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَغَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتَبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صِحْفَتَكَ . لَا عَمِدَتَّ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . حَسَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتُمْ . فَيَقْنَانِ
بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَا (للأبشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرَهُ مَمْنُوتٌ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُبَابُ صَمُوتٌ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَأْقُوتُ

١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ

فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتِ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَذَكَ

أَوْعَايِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَفْلَتَ مِنْهُ

نَفَعٌ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُثْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ

الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنَ وَخْرِ الْإِبْرِ . وَأَمْرٌ مِنَ

الصَّبْرِ . وَأَحْرٌ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الثُّلُوبَ مَزَارِعٌ فَازْرَعْ فِيهَا طِيبَ

أَلْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهَاءُ مُطَبَّعَةٌ عَلَيْهِ وَاللِّقَابُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَّقِ
 اللَّهَ وَلَا تُطَلِّقْ هَذَا الْمُجْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للشَّيْرَازِيِّ)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَلَمْرٌ يَسَامُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجِنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أُسْتَبْصَالُ
 إِنْ اللِّسَانَ إِذَا حَلَّتْ عَقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ بْنُ لَيْثُونَ الْحِجَبِيُّ :

تَرَهُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ وَارْعَبْ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَعْينُكَ وَأَطْرَحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيرِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لِأَخِيرٍ فِي آئِيَةٍ لَا تَمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لِأَخِيرٍ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخِرٌ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَمَّ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالسَّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ إِسْبَابُ
الْمُشَارَكَةِ (للسراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ :

وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمُسْرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَسْيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسَانِي لَيْسَ يَعْلَمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجِيًا
١١٢ (فِي التَّاجِ) : إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمَاتُ
لِلسَّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ .
فَإِنَّ إِفْشَاءَ السَّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَأِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السَّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبُهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمُعَارِيضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجُنَايَةِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبة

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكُ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكُرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لبن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّهْلِيُّ :

إِنَّ الْكُرَيْمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَ مَا
لَيْسَ الْكُرَيْمَ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَمَّنْ أَوْدُهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوِدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ غِيَابٍ مَشَاءٍ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِسَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سَقُوطُهُ وَضَعْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارِكُمْ الْمَشَاوُنَ بِالنَّمِيمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَاعُونَ ذُو الْوَجْهِينِ .
مَاعُونَ ذُو الْأَلْسَانِينَ . مَاعُونَ كُلُّ شَعَارٍ . مَاعُونَ كُلُّ قِتَاتٍ . مَاعُونَ
كُلُّ نَمَامٍ . مَاعُونَ كُلُّ مَنَانٍ (وَالشَّعَارُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقَى
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقِتَاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْوَصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُطْعَمُ الشَّجَرَةُ فَتَنْبَتُ

وَيَطْعُ الْخَمَّ السِّيفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحَهُ . قَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْهُدُوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أُدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غِشٍّ يُكَاجِبُنِي
إِنِّي لِأَكْثَرِ بِمَا سُمِّتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَعْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنكَ يَا تَيْبِي
هَذَا نِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَكُفِّ لِسَانَكَ عَن شَتْمِي وَتَرْيِبِي

١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّمِيمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عِدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بَدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَقْضِيهِ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ

(للأبشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكُذْبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَأَخْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ . وَعَنْ نَحْوِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبَهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِابْنِهِ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمَشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْبِهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِتَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالْأَمُّ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالِدَّلَالُ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِبَالُكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكَهِ فَلَرُبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكُذُوبُ تَفْكَهًا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبْكَهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكُذُوبُ تَخَفًا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ وَبُكَاهُ وَبَصَمْتَهُ وَبُكَاهِهِ وَبَضَحَكَهُ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ
تُكْرَهُ الْمُزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمُزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الْمُزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ . الْمُزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ
كَالشَّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمُزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّادِقِ . وَيُنْفِرُ
الرَّفِيقَ . وَالْمُزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمُزَاحُ يُسْقِطُ
الرُّوءَ . وَيُبْدِي الْخَفَى . لَمْ يُجِرَّ الْمُزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الْغَائِبُ بِالْمُزَاحِ وَاتَّرَ . وَالْمُغْلُوبُ بِهِ تَارَ . وَالْمُزَاحُ يُجَلِّبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرَهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٍ . وَذَكَرَ الْمُزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُبَشِّقُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخُرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرَّجُلِ . وَيَرْمِيهِ مِثْلَ الْجُنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ . أَخَذَ هَذَا
الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلَقَى الْقَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مِمَّا زَحَا وَمَلَاعِبًا هِيَّاتِ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخالص البردة

١١٧ (قِيلَ فِي الْمُبْهَجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدْرُ قُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ
الْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَأَشَقِيْقِ الشَّفُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعَدْتُهُ . وَنَصْرَتُهُ وَعَمْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَلِيلِ شِفَاءُ الْغَلِيلِ . وَائِسَ لِصَدِيقٍ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنَّهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِنَاءُ الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسَاعُ مَرَارَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِجَلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الثَّقَاتِ . فَاسْتَرَوْحَ مِنْ نِعْمَةِ الزَّمَانِ بِمَوَاسِمَةِ الْخَلَّانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمُعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمُعِينِ . وَبَعْضُهُمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو أُلُودٍ مِني وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحَنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَّتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

بَعْدَ السَّلَامِ طَعَامٌ ثُمَّ تَرْحِيبٌ
وَضَحْكٌ تَعْرِفُ وَإِحْسَانٌ وَتَقْرِيبٌ
بَيْنَ الْأَجْبَةِ تَأْيِيدٌ وَتَأْدِيبٌ
قَدْ زَانَ ذَلِكَ تَهْذِيبٌ وَتَرْتِيبٌ
لَمْ يَنْهَمُ عَنْهُ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبٌ
إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبَغَّيَ شِمَالَهُمَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلِّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ المَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَفْسَمَتْ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَالِيَةِ الْمُجَبُونَ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى المَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيَغْنِي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتَهُ
وَإِنِّي لِمُسْتَقٍ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ
فَسَمِعَ المَأْمُونُ وَجَمِيعٌ مِنْ حَضَرِ المَجْلِسِ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمُأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْحِلْفَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاحِبَ

(لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَرْوَانِ الشَّرِيكَ فِي الْمِرِّ أَيْتَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبِرَايَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمِينًا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمَّتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
فِعْشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَنَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرَهُ فَجَفَّ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَفَا الْمُلُوكُ مِنَ الْمَحَالِ
مَالِي رَأْيِيكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرُ فِقُلْتَ ذَلِكَ أَخَوْضَالَ

أَوْ كَانَ ذَا نَسْكِ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ الثَّقَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فِيمِثْلِ ذَا شِكْلِكَ أُمَّكَ بَتَّبَعِي رَبَّ الْعَالِي
 ١٢٢ قَالَ الْعَزْزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُتَكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَبِّحُ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْبُشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَأْسِحِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِي الْمَقِيلَ وَيَعِشِقُ الْمُثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطَنَّهُمْ بغيرهم مَنْ يَخْلُطُ الْعَيْنَانَ بِالصُّقْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنُوفِيُّ :

أَتْرَعُمْ أَنْكَ الْجِدْنَ الْمَقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَاجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٌ مِنْ أَصَادِقِهِ حَقًّا
 وَجَانِبٌ مِنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبَقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذْمُكَ إِنْ وُلِّيَ وَيَرْضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ أَمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا أَمْرُ أَعْضَلًا
 ١٢٣ قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرُعُ بَانٍ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلٌ مُتَّصِلٌ بِفَرْعِهِ • وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ • فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بِنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فُحِظَتْ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ • وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَاهُ التَّقْوَى • وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمُؤَمَّوَةُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْضَهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَتَرَ الْبَغْضَ بِالْفَاطِ الْهُوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ بِغَيْشٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتَهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدْرٌ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَالدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كِدْرَاعٍ نَيْطَتْ إِلَى عَضْدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَلَّ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرْفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي

١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ • وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفُهَا
وَتَحْرُسَهَا مَعْرِضَةٌ لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْأَبِي بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ • وَبِالْكَظْمِ حَتَّى يَتَعَذَّرَ إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَكَ • وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْتَرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّصْصِيرِ . (وَلِيَحْمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا بَرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةِ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَبُودَ إِلَيْكَ كَعَادَتِهِ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لِيَاتِ الْمَتَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرَعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاءٍ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاتٌ وَوَدٌّ لَا يُخَوِّنُهُ اللَّيَالِي
وَأَوْرَثَهُ عَلَى عَمْرٍ وَيسِرُّ وَيُنْهَدُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نُبُوَّةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمَلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أُنْعَدُ الْمُدْمَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَاثِرُهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلْتُهُمْ سِهَامًا صَابِتَاتٍ فَكَاثِرُهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ
١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلَقَلْبٍ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمُرِيَّةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِنِي
مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مِلْمَةٍ
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْأَصَابِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ الْمَطَّلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَأَسْتَتَمِمُكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسَاسِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنْ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفُ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدَهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطَّلُ . كَتَبَ الْعَتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَفَتْ فَلْيَكُنْ وَبَلْهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطَّلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع وانكبر

١٢٩ إَعْلَمَ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِسْحَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ النَّادِيَةِ .
وَتَسْلُبُ الرِّبَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبِيرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَزَلِ الْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى الْكِبَرَ وَتَأْتِفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للأبشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ ائْتِخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعُلَيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفْصَافِ رُتِفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتَّضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَكُتِّمِ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِي الصَّبْرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يَدْخُرُ
إِجْهَلَ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

في العقل وماهيته

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَيَلِيسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَابِ يُدْرِكُ بِهِ الْمُعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْمَحْسُوسَاتِ بِالْمُشَاهَدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمُشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْوَجْهَ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهُدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلًّا يَعْتَرِيهِ جُنُونٌ
وَالْعَقْلُ فَنٌ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَدْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فَنُونٌ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُنْيَةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مُطِيَّةٌ سَوْءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجُهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عَشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مِنْ صَاحِبِ الْعُلَمَاءِ
 وَقُرَّ . وَمِنْ عَاشِرِ السُّفَهَاءِ حَثْرٌ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَمَّ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرُّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرُّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالْتَقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . أَجْأَهْلُ يَطَابُ الْمَالُ . وَالْعَاقِلُ
 يَطَابُ الْكَمَالُ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزَّزَهُ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للسبراي)

١٣٢ حَكِيَ الْكَسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِخْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كُوكُبِي
 أَفْقٍ يُزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبَدَ اللَّهَ عَنْ إِسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابَ مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَمْرِي أَفْقٍ وَفَرَعِي بِشَامَةٍ يُزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمُحَمَّدُ
 سَلِيلِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَاثِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبَقِيَ النَّبِيِّهِ الْمُوَيْدُ
 يَسْدَانِ أَنْفَاقَ النِّفَاقِ بِشِيمَةٍ يُزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مَهْنَدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْخِلَافَةِ

وَأَعْصَانَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الزَّلَالِيَّةَ آدَبَ مِنْهَا السَّنَاءَ . وَلَا أَحْسَنَ الْفَاعِلَ .
 وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظًا وَرَوِيًا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
 أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًا
 وَقِعْمًا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي . ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
 فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ تَسْتَدِرُّ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
 بِالْخُرُوجِ . (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثَالِ أَكْفَاءُ . أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمَّ حَوَاءُ .
 فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ . يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ .
 مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ . عَلَى الْهُدَى لِمَنْ أَسْتَهْدَى أَدْلَاءُ .
 وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ . وَأَجْلَاهُنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ .
 وَإِنْ آتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ . فَإِنَّ نَسَبَنَا جُودٌ وَعَلِيَاءُ .
 فَفَزُ يَعْلَمُ تَعَشُّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا . النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ .
 ١٣٣ . إَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
 وَهُوَ أَعَزُّ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
 عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْمَحْمُودُ مِنْ عَقْلًا . وَأَقْبَحُ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلًا .
 فَلَيْسَ يَصْلُحُ نَطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ . وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سَأَلَ .
 ١٣٤ . ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا رَبًّا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالْإِسْتِحْتِاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مِلْمَةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَجْمَعُكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ
أَمْكِنِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجِبَهُ بِأَدَائِهِ وَالْآتِيَةَ . وَأَيْضًا فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَجْنُ إِلَى النُّمْلَةِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ كَالسَّبَبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خَمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَإِنَّمَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مُخْتَطٌ بِالثَّرْبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلاً عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بَغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بَغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُهُ مِنْهَا . فَيُخَطَّطُ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجَعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عَيْبُوهُ .
وَتَكَثَّرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرُ مَادِحَهُ هَاجِئاً . وَصَدِيقَهُ مُعَادِيّاً

لَا تَتَعَدَّنَّ عَنِ الْاِكْتِسَابِ فَضِيلَةَ أَبَدًا وَإِنْ آدَّتْ إِلَى الْاِغْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخَمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْاَيَّامِ

(الشبراوي)

١٣٦ سَأَلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطْنَ . وَمَلَاكٌ مَا عَلَنَ . وَسَائِسٌ الْحَدِّ .
وَزِينَةٌ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضْرَاءِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
 يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ
 وَشَيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ
 إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
 فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
 وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
 وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
 فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
 وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّ بِهَا
 وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
 ١٣٧ قِيلَ : إِنْ الْعَمِيَانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقِتَادَةَ : مَا بَالُ
 الْعَمِيَانِ مَجِدِّهِمْ أَذْكَى مِنَ الْبُصْرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
 أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كَفَّ بَصْرَهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
 قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
 فَبِي إِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ
 وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ

(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ حَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
 دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِمَثَقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَلْفَعَامَ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ
 طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لابي نصر المقدسي)
 قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ
 تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ يَا أَخِي بِهِ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
 فَالْعِلْمُ زِينٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
 وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَانُ فَوْسٍ قَطُّ مَا عَرَفْتُ
 الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ
 مِنْ قَبْلِ مَا أَلْفَرَقُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
 عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
 ١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بَنِيَّ
 عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
 كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مَبْلَغُ قَوْمٍ ذُرْوَةَ الشَّرَفِ
 يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسْهُ
 وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّفَفِ
 بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ
 وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
 الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ

١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
 الْعُلَمَاءِ مَا أَمَكَّنَ وَلَا يُعَدِّغَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
 وَمِنْ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا
 وَاعْلَمْ أَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى
 لِصِتَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِقِ نَقْشِهِ
 خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بِنَشِهِ
 مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَا حَةِ نَقْشِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ النَّعْمَ قَوْمٌ لَا عُشُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
 مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصِيرٍ
 ١٤١ وَقَالَ عَلِيُّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يُحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ
 الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
 يَنْقُصُ بِالتَّقَةِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
 الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمُلْكَ وَالْمَالَ مَعَهُ . وَقَالَ
 الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
 يَجْعَلُهُ فِي قَلْبٍ مِنْ نِشَاءٍ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَع) يُعْقِبُهُ جَلَاءٌ لِقَلُوبٍ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمَرَهُ غَنَمٌ
 فَخَالَطُوا رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَابَ خِيَارِهِمْ فَصُبِحَتْهُمْ زَيْنٌ وَخَلَطَتْهُمْ غَنَمٌ
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ هَدَىٰ إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَأَتْ نَجْمٌ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَعَّ الْهَدَىٰ وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لِنَارِ سَمِ

١٤٢ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمُرءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
 فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
 سَمِعْتُ وَكَيْعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
 وَمِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمِمَّنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ مَوَّانٍ
 لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ رَطَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . وَأَمَّا طَالِبُ
 الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا الرَّحْمَانِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى
إِجْهَدَ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا
مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
فَسَدَامَةُ الْعَبِيِّ لِمَنْ يَتَكَاَسَلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَأَتَقِهِ
وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ ثَوْبٍ أَنْتَ لِابْنِهِ
وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
فَاخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرْعَا
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ
وَإِنَّ أُمَّرَأًا لَمْ يَنْحَى بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ
وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورٌ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاصِلٌ
يُسَاقِبُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ
وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِاسِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعُ لَذِي الْعِلْمِ وَالْحَجْبِي
كَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرَهُ
قِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ
إِعْنَمَ جَنَى ثَمْرَةٍ تَحْظُ بِبَدِيلٍ مَنِي
لَكِنَّ ذَا يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرْبِ
وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بِأَذِي مُعْرِيَا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًّا وَطَلَابُ الْمَالِ هَمَّتُهُ
إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدِينَ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونٍ
 الْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَسْبِقُ لِقَتِي أَبَدًا وَالْمَالُ يُفْنِي وَإِنْ أَجَدَى إِلَى حِينِ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبُعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقْتَ أَثْوَابُهُ فِي عِيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مَهْدَبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَالْمِسْكُ مَهْمًا تَرَاهُ مُمْتَهِنًا بِفَهْرِ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ يِعَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتُ فَنُونَ الْعَالِمِ وَالْأَدَبِ
 كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَ آبَاؤُهُ نُجْبٌ كَانُوا الرُّشُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنْبًا
 وَمُقَرَّفٍ خَامِلٍ الْآبَاءُ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمَعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتْبَا
 الْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَالِيلٍ فَيَلْتَقِي الذُّلَّ وَالْحَرْبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْقُوَّةَ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزِدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِالْأَطْلَبِ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوُ بِهِ شَرَفًا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِالْأَغْبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ اشْتِخَاصًا إِلَى رُتَبِ
وَيُخَفِّضُ الْجَهْلُ اشْرَافًا بِلا أَدَبِ
الْعِلْمُ كَثْرًا فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ
وَالْمَرْءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
فَالْعِلْمُ فَاطَابَ لِكِي يُجَدِّدَ جَوْهَرَهُ
كَالثَّوْتِ لِلجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى الذَّهَبِ
قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدُ
لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ
فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعَتْ بَحِثْ تَسْعَى
فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينَةُ الرِّجَالِ
لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ
وَفِي الْعُتْبَى تَنَالُ بِهِ الْعَالِي
قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زِينَةٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا
وَكَنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتُمْ مُتَسِّبًا
إِرْكَنٌ إِلَيْهِ وَثِقٌ بِاللَّهِ وَأَعْنٌ بِهِ
وَكَنْ فِتَى مَاسِكًا مُحْضِرًا التَّقَى وَرِعًا
مَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا
رئيس قومٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا
وصف الكتاب

١٤٥ الكتابُ نِعَمُ الأَنْبِياءِ فِي سَاعَةِ الوَحْدَةِ . وَنِعَمُ المَعْرِفَةِ فِي
دَارِ الغُرْبَةِ . وَنِعَمُ القَرِينِ وَالذَّخِيلِ . وَنِعَمُ الزَّائِرِ وَالنَّزِيلِ . وَعَاءُ مِلْيَةٍ
عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مِلْيَةٍ نَزْحًا وَجِدًّا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجٍ
وَرَوْضٍ يُقَابُ فِي حِجْرٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْطَامًا كُلَّ حِينٍ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطَعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَدْوَى . وَزَهْرٍ لَا يُنْوِي .
 وَثَمَرٍ لَا يُفْنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجَانِسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُتْرَجِمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْخَبْ . أَكْتَمَ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمَ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخَذَ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعَ مِنَ الصُّحَى . وَأَنْطَقَ مِنْ سَحَابٍ وَإِبِلٍ
 وَأَعْيَانٍ مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِعُلَمٍ تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعُ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعُ . وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعُ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعُ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَزَحَ فَزُهْرَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزَنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَدْبُوعُ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْوَنَتَهُ وَخَفَّةٍ مَحْدِلِهِ . لَا يَرْزُوكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعَمْ الْمُدَّخِرُ وَالْعَدَّةُ . وَالْمُسْتَعْلُ وَالْحِرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظْرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ الْقَاطِكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلَدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَتَهُ نَوَّهَ عِنْدَهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُقْعَدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجَالِسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَكَرِمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِي (الكنز المدفون)
 ١٤٦ أُرْسِلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحِوَالِيَهُ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلُوسًا مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمُ الْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
 يُفِيدُونَ نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ عِلْمٌ مَاضِي وَرَأْيًا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدَّ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْسِدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يَنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمَكْنِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِطَالِعَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَدَمَّ الْوَزِيرُ إِلَى النَّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَفَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحْمِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنُوبِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصْلُوهَا كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلِبُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابَ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصَلُوا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَأْهِيمٍ وَأَشْعَارُ تُطْرَبُ بِهِ

(الفخري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْإِسْتِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
الْمَاءُ يُعْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْقَارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : أَلْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقِلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ : أَلْبَيَانُ أَسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِيغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنْ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : أَلْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْجُبَيْرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :
أَلْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يُقْطَعُ إِلَّا بِسِوَابِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَاكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ أَلْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِبُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظْمٌ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرَّ لَا يَهْدِي لَهُ الصِّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الشَّعَالِيُّ : الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا . وَقَالَ
 الْإِمَامُ فُخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ : إِنَّمَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بَعْبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِيْجَازِ الْغُلِّ . وَالتَّطْوِيلِ الْمَمْلِ .
 وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فُخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا : أَعْلَمُ أَنَّ
 الْفَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ . وَأَصْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَفْصَحَ اللَّبَنُ
 إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ . وَكَأَثَرُ الْبَلْغَاءِ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ . بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهُمَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُرْتَادِفَيْنِ دَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْأَهْكُمْ بَيْنَهُمَا . وَيَزْعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاطِ . وَيَسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلهَيْتَهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ . فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظَمَ فِي صَدْرِي . وَإِنْ قَصَرَ سَطَطَ مِنْ عَيْنِي (الابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ : الشُّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ آدِيبِهَا .
 وَيُقَالُ : الشُّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ . وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أُمْرَاءُ . وَقَالَ بَصُّ
 السَّافِ : الشُّعْرُ جَزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ تُتَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَاسْتَبْجَحُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَشَفَى بِهِ السُّخَامُ . وَيُقَالُ : الْمُدْحُ هَرَّةُ الْكِرَامِ . وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدِينَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَنْصِفِ الشُّعْرَاءَ فَإِنَّ
 ظِلْمَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَنْفَى . وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ . وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْجَمِيدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ . إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايَرُ
 الشَّرْرِ . وَالشَّعْرُ يُبْتِى بَقَاءِ النَّشْرِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحِمَزَةِ بِنِ بَيْصٍ :
 مَنْ أَشَعَرَ النَّاسَ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعِيْلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
 الشُّعْرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْتَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرُ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسَنُ كَذِبُهُ . وَيَحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عِيَابًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السَّرْفَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَابِ أَمْرًا مَعْلَمَةً أَنْ يَعْلَمَهُ الشَّعْرُ . لِأَنَّهُ
 تُوَصَّلُ بِهِ الْمَجَالِسُ . وَتُضْرَبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ تُعْرَفُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتَمْدَحُ مُحَمَّدٌ وَتُهْجَى وَتَمْدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبَقِيَ مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَوْ لَا خِلَالَ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةَ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَسَاكِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُجِي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا أُجْدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْأَعْظَمُ نَخْرَاتُ

١٥١ (فَصَلُّ لِأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعُ مِلْدَحِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمِ الْأَقْتِصَارِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ .
 إِذَا ذَمُّوا تَأَمَّلُوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلِّبُوا . وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ .
 وَإِذَا غَضِبُوا . وَضَعُوا الرَّفِيعَ . وَإِذَا أَقْرَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَائِرِ . لَمْ
 يَلْزَمْ حَدُّهُ . وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمُ بِالْعُقُوبَةِ يَدُ . غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ . وَقَبِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحْقَرُ . وَشَيْخُهُمْ يُوقَرُ . وَشَابِعُهُمْ لَا يُسْتَصْعَرُ . سِهَامُهُمْ تَنْهَدُ فِي
 الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجِلٌ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ هُمْ صَيَارِفَةٌ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَسَمَاسِرَةٌ
 النَّقْصِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ اسْمُهُمْ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ . وَاسْمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَيْلِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ .
 يُقَصِّرُونَ طَوِيلَهُ . وَيُطَوِّلُونَ قَصِيرَهُ . يُقَصِّرُونَ مَمْدُودَهُ . وَيُكْفَمُونَ
 ثَقِيلَهُ . وَلَمْ لَا أَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَاوٍ
 يَهِيمُونَ

(لأبي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَسْعُ وَتُرَدُّ أَدُ
 عِظْمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بِنَدِيهِ فَقَالَ لَهُمْ :
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ . يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُفِيدُ الرِّغَابَ الْجَلِيلَةَ . وَيُعِينِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَالْبَسُوهُ حَلَةً . وَتَرَيْنَا بِهِ حَايَةَ . يُوَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشِدَ الْأَضْمِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَرْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَمَا الْمَاءُ مُخْتَلِطًا بِالْأُتْرُبِ تَطَوَّرَ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمُ : مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاؤُ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَبِالْجَهْلِ يُتَفَوَّنُونَ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرٌ
قَرِينٌ وَالْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ وَالْتَقْوَى خَيْرٌ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَائِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَإِنْ قَلُوا . وَمَحَلُّ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلُوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بَنِي الْأَدَبِ بِهَاءِ الْمُلُوكِ وَرِيَاشِ السُّوقَةِ وَالنَّاسِ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَلَّمَهُ
تَحَدَّهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بَنِي عِزِّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكُ ذَهَابِهِ . جَدِيرٌ أَنْ يَقْطَاعَهُ
وَأَنْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَذُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ بِزَوَالِ أَمْالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : حَايَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحَرَمَتُهُ لَا تُجْنَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

شئت . قَالَ بَرِّجْمَهُرُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلَ
وَضِيْعًا وَبَعْدَ صِدْقِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيْرًا . وَقَالُوا : الْآدَبُ آدَابَانِ آدَبُ الْعَرِيْزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَآدَبُ الرَّوَايَةِ وَهُوَ الْفَرْعُ . وَلَا يَنْفَرَعُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْفُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ
(للشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكَتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يِقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِيْ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدَبِهِ
هُمَا كَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَفَقِدَهُ الْحَيَاةُ أَحْسَنُ بِهِ

وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْآدَبِ ظَاهِرَ النَّبْتِ تَادَبَ بِآدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صِلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّيهِمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صِلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا أَفْخَرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فِخَارُ الَّذِي يَبْنِي الْفِخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْآدَبُ مَالٌ . وَاسْتَعْمَلَهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ .

(للشبراوي)

وَبِالْحِلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَّصَ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَمَا تَقَرَّرَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْأَدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُفْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدَّبَاجِ وَالسَّرْرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّادِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَخَّ الْأَفْلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْحَقَ
بِالْأَدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضَمَّ شَفْتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ
الْبِطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهَمًا شَرِيحًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا آدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغَنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى . قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُّ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ . وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيَوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِآيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتَهُ لَدَيْكَ أُمْسَالِكُ
فَكُنْ بِاسْمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارِكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَجْهَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةٌ وَجْهَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَّامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النُّزُلِ
مَا زِلْتُ بِالرَّحِيبِ حَتَّى خَلَّتْني ضَيْفًا لَهُ وَالضُّيْفُ رَبُّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَالِلٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّ النَّفْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ زُورِهِ وَنَشِعَهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْسُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَلَمَّ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَنْضَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يَنْغَصَّ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْبَسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَلِثُمُهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِدَلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْمُرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْأَحْوَاثِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَدْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرْفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَتَدْقِيلُ : ثَلَاثَةٌ تُضْفِي بِسِرَاجٍ لَا يَضِي
 وَرَسُولٌ بَطِي . وَمَا نَدَةُ يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشِيعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرِي حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا القُوَّةُ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العَنِيِّ
 يَسْتَقِيلُ كَثِيرَ المَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسَامُ مِنْ طَابِ العِلْمِ طَوْلَ عُمُرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَابِ الحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ التَّاسِعِ
فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٥ حكى الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمَدِيُّ النَّابِ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِشَعْرِ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دُهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ سَبَبَهُ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعُ حَلَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلِحُ
لِذَلِكَ . فَأَسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلَقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيهَا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ الْأَثَرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ أُنْجِرُ لَهُ رَاحَةٌ يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْحَاتِمُ
فَأَسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيهَا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرٍ تَخْطِي لَهُ وَاعْتَمَدَ
وَأَعْجَبُ بِهِ إِذَا بَدَا جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ

فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأَسْتِحْسَانِ (بدائع البداهة للزدي)

١٦٦ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ لَا

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَالًا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتَهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الحجاج والفقيه

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد
العشاء سكران ضرب عنقه . فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتیان
يتمايلون وعليهم أمارات السكر . فأحاطت بهم العلمان . وقال لهم
صاحب الحرس : من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم
في مثل هذا الوقت . فقال أحدهم :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقْرَبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِالْآخِرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ تَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا • وَقُعُودٌ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِالْآخِرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبَدِيَّةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّ ابْنَ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ فَوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
حَاثِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فِصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلَسَائِهِ : عَامُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا فِصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَّاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغُلَامٍ
لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قُرْطَبَةَ . فَخَانَتْ الْغُلَامَ رِجْلُهُ
فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرَعْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ .
وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبِحَارِ الْفُصُوصُ
(كِتَابُ الْمَعْجَبِ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمِرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرْفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعُوضَهَا :

لَكَ مَنْزِلٌ كَمَا تَسْتَارُهُ لَنَا
لِلَّهِوَ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَى الذُّبَابُ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ
فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبُرْغُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ
لَيْلٌ طَوِيلٌ بِأَلَا غَمُوضٍ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ
وَذَا يُغْنِي بِأَلَا عَرُوضٍ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حِينَ قَبِضَتْ

ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنٌ مِنْ أَعْصَانِ
دَوْحَتِكَ . أَفْتَأْذُنِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِحِيَاطَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا .
بِبِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَسَأَلَهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثْرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظُلْمِكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا
(للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَّاسَانَ . وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلِّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَبَهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ :

لَمْ يَصَلِبُوا بِالشَّذِيخِ عَشِيَّةً أَلَا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عِيُونِهِمْ
مَا أزدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً
هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارَقَ غِيْلَهُ
مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ نَزَعَتْ لِيَابِسَهُ
كَالسِّيفِ أَفْضَلَ مَا يُرَى مَسْئُولًا

وَقَالَ فِي الْحُبْسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقَاتِ لَيْسَ بِضَائِرٍ
أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ
فَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُورَةٌ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ
وَالْحُبْسُ إِنْ لَمْ تَعْشَهُ لِدَيْبَةٍ
حَبْسِي وَأَيُّ مَهْدٍ لَا يُعْمَدُ
كَبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ
عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْقَرْقَدُ
لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُتْرَهَا الْأَزْنَدُ
شَنْعَاءُ نَعَمَ الْمَنْزِلُ الْمَتُورَدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَطَطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُوَسُ
الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَأَسَ
ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَةٌ فَاسْتَصْغَرَهُ هِشَامُ
وَقَالَ لِحَاجِمِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
فَقَالَ دِرْوَأَسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ دَخُولِي لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا أَنْتَقْصِكَ
وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي . وَإِنْ هُوَ لَا قَدِيمُوا لِأَمْرِ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

نَشْرٌ وَالسُّكُوتَ طِيٌّ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرُ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنَا سِنُونُ ثَلَاثٌ . فَسَنَةٌ أَكَّاتِ
 اللَّحْمِ . وَسَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أُجْرَ الْهُسَيْنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُدْرًا . وَأَمْرٌ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَائِزَةِ الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للشَّريشي)

الشاعر التروى

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أُمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِتَقْصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمُدِّ دِينَ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمُدَّ الشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَائِبِ سِرًّا : لَا تَسْكُنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَرَفَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِ بَزْحَارًا . فَبَعِثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أُمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِتَقْصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا الْمُدُّ الشَّعِيرُ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنشَدَ بِدِيهَا :

يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شَعْرَكَ فِي الْوَرَى فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجَزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصْتَهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُّوحُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعِلْمٌ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لما حضر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة وقال :
بارزني . فقال : لا أفعل . فقال ابن هبيرة لأشهرن أمتناعك
ولأعيرتك به . فقال المنصور : مثلنا ما قيل : إن خنزيرا بعث إلى
الأسد وقال : قاتلني . فقال الأسد : لست بكفوي . فإني إن
قتلتك لم يكن لي فخر . وإن قتلتني لحقني وضم عظيم . فقال لأخبرن
السباع بنكولك . فقال الأسد : أحتمال العار في ذلك أيسر
من التلطح بدمك . فحجّل ابن هبيرة وكف عنه (لنواجي)
١٧٠ ما أرق وأجود ما قال بعضهم في الفراق :

ما الدار قد غبتم ياسادتي دار كالأولاء الجار مذ غبتم لنا جار
غبتم فأوحشتم الدنيا ببعديكم وأظلمت ببعديكم رجب وأفطار
ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا يعرى من الريش لا تحويه أوكار
تري تعود ليالينا التي سلفت كما عهدنا وتجمع بيننا الدار

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِ إِذْهَ الْأَبْيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
وَأَشَدَّتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
لَوْ أَنَّ يَهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تَهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
فَأَسْتَحْسِنُهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبَلْبَلِ :

أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمُعْرَدُ فِي التُّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانِ فَنَحْلَةٍ وَرَشَانَا
هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمُعْرَدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَحْرَانَا
١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَّصِدِّي إِلَى صَعَاظِرِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عِوَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جِثْتُ وَهَامٌ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا كَلَامٌ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّخَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا
فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

ذَاجَزَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ غَفَّارٌ
١٧٥ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِالْإِدْيِ فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُودِعًا :

لَا وُدَّعَنَّكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي فَايُوسُ وَكَانَتْ أَعْصَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ .
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدِّي ثُمَّ يُفَدِّي مِثْلَ مَا تُفَدِّي
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْدًا مُرْضِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَانًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : قَتَبَسَّمِ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدَّ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيُّ قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَيَّ إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :

لَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي حَسُنَ عَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَانِي الْقَدَرِ قَدْ عَظَمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُدْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتَهُ بَعْدَ أَنْ تَضَاءَبْتَهُ عَلَيَّ ذِكْرِي (الآغَانِي)

١٨٠ تَعَدَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :

قَامَتْ تُتَجِّعُنِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَعِيمَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِنَا وَتَبَّوْا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا أَلْتَلُّ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا أَلْسَابُ

١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَثْنِيِّ :

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُشِيخُ الْمُغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَعْطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَيَّ رَهْجُ الْخَيْلِ إِذَا تَوَّرَ الْغُبَارَ مَشِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتَيْلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّيَاحُ وَالتَّكْمِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدٌ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ نَحْرِيرُ

١٨٢ مَثَلُ دِعْبِلُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ أَمْرَاءِ الرِّقَّةِ فَتَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَوْقُلُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدِي مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجَزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلِ
 وَلَا نَتَ أَعْلَمُ بِالْمُكَارِمِ وَالْعَلِيِّ مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ
 قَالَ لَهُ . قَاتَلَكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لابن عبد ربّه)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْبَتًا :

رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْبَتًا وَكُلَّ مِنْهَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فِسَادٍ كَعَقْرَبٍ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البجلي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْبَجَلِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْتَقِي بِيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَادَّمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الْيَدِ كَانَتْ
 فِي يَدِهِ الْيَمْنَى . فَتَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى . فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ :

بِئْسَ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجِبَارُ
 خَلِيفَةٌ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكِ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُرْدِ ضَرَّتَانِ هُذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَادُ
فَرَفَى بِالْدَّرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَّارُ (للأزدي)

١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هُذَيْنِ الْيَمِينِ :
أَنْظُرْ إِلَيَّ بَعَيْنِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَوَلَّافَ قَبْلَ تَوَلَّافِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَغْنِمْ دُعَائِي وَالثَّنَاءَ الْوَأَفِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَاتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّازِيِّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَنَّهَا مُسْتَجِيرَةٌ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عُنَيْنٍ أَيْبَاتًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ حَمَامَةٌ وَأَمُوتُ يَأْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادٍ فِي حَرَاكَتِهِ فَأَعْتَرَضَهُ مُقَدِّسٌ
ابْنُ صَيْفِيٍّ الْخَلْقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَدْنَيْتُ مِنَ الشَّطْرِ لِيُجْرَجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْبَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لِأَعْرَقَتْ كَيْفَ لَا تَعْرَقُ
وَبِحِرَانٍ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطَبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك. فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمس مائة دينار. وقال لهم: ليقل كل منكم
بيتاً في مدح نفسه فأيكم غاب قلبه الكيس. فبدر الفرزدق فقال:
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءُ
فَقَالَ الْأَخْلَطُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
فَقَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعَبَّ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
وَهَذَا مِنْ هُدَيْنٍ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وُلْدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِي إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْأَعْلَى بِأَنْفَسٍ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حَبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبَلَّجْتُ نِيَّيَ بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً وَتَمَبِّكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبِشَاهُ يُعْرِي عَلَى طَابِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤْيِسُنَاكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعَدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقِنَاةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعْتَهَا تَمْرٌ قَتَبْتَ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَمْرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشِيِّ فَصَارَ

يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا

١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَعْلَتُهُ فَأَنشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَعْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُدْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِقًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَجْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سَوَّدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمَوْبِخِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ

١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحُجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخْرَجَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَدِ الَّذِي ضَيْفَانُهُ مَاتُوا جَمِيعًا
 أَدْعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَاعَطَشًا وَجُوعًا
 مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
 كَالْبَدْرِ لَا زُجُوجًا إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ أَبُو هَمْدَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةَ وَهِيَ مَكَانٌ مِنْ مَشَاهِدِ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّاسِ تَذَكُّرَهَا
 فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
 وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حِكْمِي أَنْ جُمُهورِ شُعْرَاءِ مِصرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ

كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيُهْنَوْنَهُ بِاللُّشَايِدِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيُنَامُ كَانُوا
 لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ارْتَجَّتْ
 مِنْهَا دِيَارُ مِصرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
 مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضَخٌّ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الْتَجْبَا
 مَا زُلْزَلَتْ مِصرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبًا

الْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ فَقَدْ الْبَصَرَ

أَجَابَهُ أَعْوَرٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ أَبُو الدَّهَّانِ فِي غُلامٍ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً فِي شَفْتِهِ :

بِأبي مَنْ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً أَلْتِ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسَبْتَ أَنْ بَفِيهِ بَيْتُهَا إِذْ رَأَتْ رِبْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنْشَدَ صَدْرُ الشَّاعِرِ ابْنُ جَهْرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

فَدَرْجَعَ أَحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفُ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنِ ضِرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ تَمَّتْ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أُرْدِحَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيمِي هِرَّتِي وَأَنْبَسُ نَفْسِي دَفَاتِرُ لِي وَمَعَشُوقِي السِّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُ لَآبِي هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا حَزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَجْرِ يَمْطُرُهُ السَّيَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَرَاهِ

٢٠٣ كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَوَلَدَهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُهُ . فَمَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ
أَكُنْ جَهْتَ مَقَالَتِي فَعَذْرَتِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد نزار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِيَادٌ وَأَمَّارٌ أَوْلَادُ نِزَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلَّا قَدْ رَعِيَ فَقَالَ : الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادٌ : وَهُوَ أَبْتَرٌ . وَقَالَ أَمَّارٌ :
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهُوَ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ : أَهُوَ أَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادٌ : أَهُوَ أَبْتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَمَّارٌ : أَهُوَ شَرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُونِي عَلَيْهِ . فَخَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ . فَنَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هُوَ لَا أَلْقَوْمَ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهُمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتَهُ يَرَعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطَبِّهِ لِأَزُورِيهِ . وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ بَثْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا تَتَفَرَّقُ . وَقَالَ أَمَّارٌ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكَوْنِهِ أَنَّهُ كَانَ
يَرَعَى فِي الْمَكَانِ الْمُتَلَفِّفِ نَبْتَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ وَأَضَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَدَّمَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدِ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدَثِ الْخَشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْقَرِّ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدِ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَرْزِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَعُصْرَةَ يُوسُفَ وَحُكْمُ سَائِمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَنِّهِ كَمَا يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جَسَاؤُهُ : هَلَّا أَحْكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ
٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلَتْ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَنْشَدَتْهُ :

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَدَّهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَأْسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ بِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَتَلَاكَ عَلِيٌّ . فَوَقَّعَتْ فِي سِحَاءَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظُرْ إِلَى عَرْضِ أَلْبِ الْإِدِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلَهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوُّ الْحَمِيدِ مَا جِدُّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مَرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبدربه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَأَنَّهم
 أُسُودٌ لَهَا فِي غَيْلِ خَفَّانِ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَمَّا
 لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنَ مَنْزِلُ
 هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا
 أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاءُ لُونَ فِعَالُهُمْ
 وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّبَاتِ وَأَجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّبِيعِ وَزَيْدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانٌ
 وَرَغِيفَانٌ سَمِيدَا وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أُنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ
 النَّمْرِيِّ الْعَيْنِيَّةِ فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَسَّعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمُهُ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمُنَايَا صَابَهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَمَى بِالْحِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطِيبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكَى الْمَنْصُورُ النَّمْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي .
 وَنَظَرَ إِلَيَّ سَتَنَظْقًا فَقُلْتُ :

إِذَا اعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُذْ بِفَنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلَّ سُؤَالَ
 فِنَاءٍ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصَّرْتَ الْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلْتَ الْمَعْنَى . وَأَمْرِي بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ فَقَصَدَهُ عَجْرُدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرٌ زَيْنُهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ الْأَقْدَمِ وَالْأَحَدِثِ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَتِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي حُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
 وَرَثَهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَاءِ الْوَارِثِ الْمُورِثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً ثُمَّ انْصَرَفَ
 ٢١١ - إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيِّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُدُّ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرِاحَتِكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنَ إِبرْهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ:

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَةٌ وَمَنْ أَعْفُ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا الثَّرَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أُمْرِي أَعْرَاقُهُ وَقَدِيمُهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ تَأْمِجْبُهُ الشُّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ.
 وَمَالُهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفُفْهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمُكَافَأَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغَانِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يُمْدِحُ بَعْضَ الْأَمْراءِ:

تَكَلَّمْتَ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِّصْتَ بِهَا وَكُنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِرٌ
 أَلْسِنٌ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عَيْدٍ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُهُ تَقَاصِرُ عَنْهَا الْمَثَلُ.

فَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ . وَبَسَطْتُهَا لِلْغَنَى . وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجْلِ . أَخَذَهُ ابْنُ

الرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِيرِ:

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضِرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَاْمُدُّ إِلَيَّ يَدًا تَعُودُ بَطْنَهَا بَدَلُ النُّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّيْسِيَلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِبَزِيدِ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ:

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسِوَاكَ بَاعَهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرَ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أُمَّمَتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرٍ
٢١٥ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتِكَ الْحَيَاءُ
وَعَلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَاتَهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْمَرَهُ الشَّنَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ يَمْدِحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوِّلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِدَّ عَنْهُمْ وَخَلَّهِمْ تَمَا أُحْتَكِمَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَا حَادَا
إِنَّ الْمَكْرَمِ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا
٢١٧ قَالَتْ أُمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنْ ابْنَ عَمْرِو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَجْمِهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِمُعْظَمَةٍ وَكُلَّ مَكْرَمَةٍ يَأْتِي يُسَامِهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزُبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهُوَ كَافِيهَا

٢١٨ • قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ يمدح بعضهم :

كُنُّ الْجِلَالَ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَمَا أَنْكُمْ شَجَرُ الْأَتْرَجِّ طَابَ مَعًا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ

٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يمدح قومًا بالكرم :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقِرَى حَطْبًا عَلَى النَّيْرَانِ

٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينُ :

تَعَشَّ عُمَرُ نُوحٍ فِي سُرُورٍ وَعِبْطَةٍ وَفِي خَنْزَرٍ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِشْمٌ
تَسَاعَدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَثْنِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ

٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمُدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعِ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبَحْ
قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تَسْتَعِي

٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَعْزُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَا لَسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ، أَنْتَ فَاعْطَا لَكَ الْمُحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ

٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ سَكَايِنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَدْرَةَ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مُحَمَّدَةٌ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَزَجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يَرْتَجِي مِنْ وَقَعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ النَّبِيعَةُ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْدَرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيْفَاخِرُكَ ذُو فَايَسٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغَرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَا مَسْكَ أَيْمٍ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجُودُ مِنْ يَمِينِهِ . وَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ
أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلْيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقَتْرِكَ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَأَنْشُدُ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفْرِ
مُتَوَجِّحٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمْرِ
إِذَا دَجَا أَلْخَطُ بِجَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْحُلِّ بِالْمَطْرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانَ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَمْلَأَ فَوْهَ دُرٍّ وَيَكْسِي

أَثْوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جِيبٌ أُعْطِيَهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرِدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا فَلَئِمَدَحَ الْمَلُوكِ (أَلِفُ بَاءِ لَابِي الْحَجَّاجِ الْبَلُوي)

٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْخَيْطِ الْمَسْكِيَّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَنْبَعِي الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 وَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ الْغَنَى أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي

فَعَجِبَ بِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنَى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتْنِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بْنُ أَحْمَدٍ وَالْأَجْرُ حَاجَتِي فَأَيُّمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتَهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتَهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقِ عَلَيْهِ كَانَ بِخُرَّاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِينَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَّاهُ لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَائَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
 وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرِينِ بَعْدَكَ عُودٌ
 وَمَا لِسِرِيرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
 فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطَاهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا
 نُخِيبُ الْأَخْطَلَ. فَلَبِغْتَ الْحَجَّاجَ فَقَالَ: لِلَّهِ دَرِّي يَزِيدُ لَوْ كَانَ تَارِكًا
 لِلسُّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ
 (للإميني)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِي شِعْرُ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوِّيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
 فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
 لَمَشَتْهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ قَتَعَلَمَ آيِي أَمْرُؤِ شَاكِرٍ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمْرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلِكٌ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
 وَكَادَ يَحْكُمُكَ صُوبَ الْعَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلِقَ الْمُحْيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
 وَالذَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالنَّجْرُ لَوْ عَذَّبَا
 ٢٣٣ وَاللَّبْحَرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صِغَرٍ فِي السِّنِّ وَأَنْظُرِي إِلَى الْمُجَدِّ الَّذِي شَادَا
 إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجُودِ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجُودِ إِضَاعَادَا
 ٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنٌ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَمِزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
 فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِلبَّاسِ أَوْ لِلمَجْدِ أَوْ لِجُودِ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ بِنَانَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعَهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبَيْنَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطَعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَزَتْ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبُ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرَّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرَبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا لَا تَرَانِي لِدَعَاةٍ مِنْ حُجُبِ

٢٣٧ صَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ أَبِي عَثْمَانَ الْأَمَزَنِيَّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجَّبٍ مِنْ نَعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا بِلَيْسِ الْبَوَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلِ فَسِوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَائِي وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي أَلْحَفًا وَبَابِعْنِي أَلْحَا جَةً مِنْهَا فَأَنِّي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالِ الثَّرَيْعِيِّ :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِمَخَالِعِ عَتِي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِمِحْظَةِ الْبَرَمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنَسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودَهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْهَرِّ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَفْتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفِزَارِيِّينَ :

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبْلِهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْمِئَنَّ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ وَقَدْ يَدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
 وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقِرْسِ الْوَرْدِ
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
 وَأَيُّ لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا
 وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيَمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
 لَا بَارِكُ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 وَلَا تَسْتُلِ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالٍ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُفْلَفِ الْعَجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا
 وَأَقْتَحِمُ الْأَمْرَ الْمُخَوِّفَ أَفْتَحَامَهُ
 لِمَا نَالِهِمْ قَدَمًا وَأَعَشَى الدَّوَاهِيَا
 لِأَدْرِكَ مُجَدًّا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الآغاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَجِيلٍ :

سِيَّانٍ كَسَرَ رَغِيْفَهُ
 فَارْفُقَ بِكَسْرِ رَغِيْفِهِ
 أَوْ كَسَرَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ
 إِنْ كُنْتَ تَرَعْبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ
 لِي بِهِ يَرُوعُ فِي سَنَامِهِ

وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُؤُومَا خِنْتُ عَهْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ
 وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بَمَا يُصْلِحُ الْأَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهَا أَكْلَةَ وَاحِدَةٍ

٢٤٦ قَالَ الْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَيْبٍ :

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوْحِي عَلَيْكَ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةَ النَّامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ

٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَاعِلِيَّ الْخَاقَانِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرًا تَنَقَّبَ .
فَكَانَ يُوَلِّي الْأَعْمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزَلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى أُجْتَمِعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا وَظَنًّا بِأَنَّنَا نَشُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرَ طَيْبِيًّا قَال :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لِأَنَّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ

قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَقْلِهِ فِي رَجُلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْنَبُ

٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبْرَدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّخْوِيِّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَلَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَلَةٌ

فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جِهَالَةٌ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللُّؤْمُ وَالْعَارِ

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سُوءَةٍ وَجُوا فِي سُوءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ

٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمَلَةَ الْمُنْقَرِيِّ فِي مِيَّةَ صَاحِبَةِ ذِي الرُّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرْتَ مِيَّ فَلَاحَبَّذَا هِيَا

عَلَى وَجْهِ مِيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحِزْبِيُّ لَوْ كَانَ بَادِيَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْتَخَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الدَّهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ

فَلِدَّجَا جَاةٍ رَيْشُ الْكِنِّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الشقي على كسرى فأُنصب بين يديه . فقال له
كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعربي أنت .
قال : نعم ومن صميمها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
العرب بالطيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها .
فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويعدل أسنادها . قال
الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها . لو عرفت الحق لم تنسب
إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم . ففيهم ما في الناس من
جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس سخية . وقارب
جارية . وعقول صحية مرضية . وأحساب نعمة . فيمرق الكلام من
أفواههم مروق السهم من الوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
يضام . ولا يروع إذا نام . لا يقرن بفضل أحد من الأقوم . ما
خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
لله درك من عربي لقد أصبت علماً وخصصت به من بين الحمق
فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَفٍ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمَلِكُ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي

يُشْتَتُّ شَمْلُ الْحَطْبِ وَهُوَ جَمِيعُ
وَتَعْنُو لَهُ مُلَّاكُهَا وَتَطِيعُ
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ

٢٥٧ وَقَالَ آخِرُ فِيهِ :

وَذِي خُضْرٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاظِبِ الْحُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا

وَدَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمِشِي لِأَنَّ هُوَ مُقْعَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لِأَنَّ هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَصْمَتِ يَجْبَنُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تَحْقَرُ شَأْنَهُ

وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لِأَمْسِ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَدِبُ دَبِيبًا فِي الدُّجَى وَالْحِنَادِيسِ
وَتُقْرَى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِيسِ
وَهِيَّاتٍ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِيسِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى سَدْرِ غَيْرِهِ
رَأَاهُ قَصِيرًا كَلَّمَا طَالَ عَمْرُهُ

يَتَرَجَّمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَانَ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ إِسْرِهِ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلَغَزَاتِي دَوَاةٌ :

وَمَرْضِعَةٌ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنْبِهِمْ
وَفِي بَطْنِهَا السُّكَّيْنُ وَالشَّدِيُّ رَأْسُهَا
٢٦٢ وَالغَزَاءُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّمِيمِ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلَفُ الْأَسْمَاءِ
يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُحْكَمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءِ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أُمْتَرَاءِ
بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلْأَقْلُ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَلَا خَبْرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
وَكُلُّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَىٰ رَبِّ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
يُصَادُ بِالصَّيْدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّبَابِ

وَيُؤَكِّلُ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَهَشَوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي الْأَهْبِ
 وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
 وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
 وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ الْأَخْبَرُونِي أَنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ الْغَزَّابِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ أَكْبَهُ غَيْرُ بَاحٍ بِسْرٍ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْبِسْرِ مُظْهِرٌ
 تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ قَسَمْتُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتُ تَنْظُرُ

٢٦٥ قُلِعَ لِإِسَامَةَ بْنِ الْمُتَقِدِّ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغَزًا :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتَهُ يَشْتَقِي لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدٍ
 لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَأَ لِنَاطِرِي أَفْتَرَفْنَا فِرْقَةً الْأَبَدِ

٢٦٦ الْغَزَّابِيُّ زَكَرِيَّا بْنُ سَلَامَةَ الْخَصْكَفِيُّ فِي نَعَشِ الْمَوْتِ :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرَهُ إِذَا سَارَ صَاحِ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُهُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُهُ

يُحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرِهُ قُرْبَهُ وَيَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُهُ
 وَلَمْ يُسْتَرَزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِ وَابْكِنِ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُهُ

٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهَاءِ الدِّينِ زَهَيْرٍ وَزَيْرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَزًا فِي قَفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْلِ الْبُرْدُ جِسْمُهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنَعُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ

٢٦٨ أَعْرُ فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كَلَّ سَاعَةً
تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتَّعِبُ
وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ الْمَدَى وَهِيَ لَا تَشْرَبُ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمْنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبُ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُولَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنَ شَكْلِهِ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوًّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تَهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ يَحِثُّ يَدْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْعُرَّ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوَنِ :

خَبَرَنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ فَمُهُ
يَرْفُسُهُ وَيَلِكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَّاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرِحُّهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْأَبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْمَجِيءِ وَفِي الذَّهَابِ

يَعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعِ ذِي الْأَنْسَابِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ الْغَزَّ الصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ فِي عِيدٍ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ إِشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٍ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجِ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمِشِي بِالرَّجْلِ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا أَوْ تَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّحَابِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِضْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِمَحْرُومِينَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَنِقَانِ
إِذَا أَمْسَى كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَفَاً وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ . كَمَا يَفْهَمُهُ
بِاللَّفْظِ . وَيُعَايِنُ فِي النَّظْرِ . مَا يَجْرِي فِي الْحَاظِرِ . يَرَى التُّصَحُّحَ فَرَضًا
يَجِبُ آدَاؤُهُ . وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزَمُ قَضَاؤُهُ . إِنْ اسْتَفْرَعَ فِي الْحِدْمَةِ
جَهْدَهُ . خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوِهِ . أَثَبَتْ مِنْ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَمْعَلَ .
(للشعالي) وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَمْعَلَ

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِمَأْمُونٍ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا . وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ . وَلَا مَشِيَّةً إِلَّا
مَشَى بِهَا . وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا . وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا . وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ . وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ . وَلَا جَائِلًا إِلَّا أَجَلَّهُ . وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ . فَعَجَبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : أَجْرَى هَارُونَ الرَّشِيدُ الْحَيْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْأُمَشَّرُ سَابِقًا . وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ .
فَأَصَرَ الشُّعْرَاءُ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ . فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :
جَاءَ الْأُمَشَّرُ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَخَلْفَ الرِّيحِ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرٌّ يَخْتِطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاعلاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا
 لِصَلَاتِي. وَأَعْدَهَا لِأَعْدَائِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
 وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيَّتِي يَتَسَعُ خَطْوِي. وَأَنْبُ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتَوَكَّلُ
 الْعَثْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي. فَيَمْسِكُنِي الْحَرُّ. وَيَجْنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُدِينِي إِلَى مَا
 بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمَلُ سَفَرْتِي. وَعَاقِلَةٌ أَدْوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
 وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتَتُوبُ عَنِ الرُّمْحِ الطَّعَانِ. وَعَنِ السِّيفِ
 عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتَهَا عَنْ أَبِي وَسَأُورِثُهَا ابْنِي مِنْ بَعْدِي.
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَبِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى. فَبِهِتَ الْحُجَّاجُ
 وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ أَحْلَفَ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَبَخَ
 أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
 تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحَسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحَقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
 وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ
 شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْ نُهَ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بِلَاقِعٌ. وَرَدِّي
 الْمُنْظَرِ سَبِيٌّ الْخَبْرِ. يَبْغُلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيِهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
 أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ خَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
 أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مَوْلَفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ : مَقُولٌ مَجْهُولٌ . وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ .
 غَيْرُ مُدْرَكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ : نَوْمٌ لَا
 أَنْتَبَاهُ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى . نَقِيضُ الْبَيْتَةِ . أَنْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ .
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصَرِ . شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ . فَرَعُ الْأَعْيَاءِ . سَفَرُ الْبَدَنِ .
 فِئْدَانُ الْإِخْوَانِ . وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ : شَرٌّ يَتَمَنَّى . مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ . مَوْتُ الْحَيَاةِ . صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ : خَادِمُ الشَّهَوَاتِ . هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . شَرٌّ مَحْبُوبٌ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ : تَصْوِيرِي طَبِيعِي . زَهْرَةٌ تَذْبُلُ . وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ : عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ . عِلَّةُ الْعُورَاتِ . وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ . وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ : عَقِيبُ الشَّمْسِ . سِرَاجٌ لَيْلِي . وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ :
 مَلْعَبَةٌ أُبْجَتْ . مَطْلُوبُ السِّنِينَ . أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ . وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ : قَاعِدَةُ الْفَلَكَ . (عَلَى زَعْمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلُ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ .
 أُمَّ الثَّمَرَاتِ . وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ : خَادِمُ الْغِدَاءِ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ :

إِنِّي بَيْتٌ بَارِعٌ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكَلِمَةُ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ : وَهَذَا فَلَانُ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ . وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْزَمَةِ جِيَادِ الْمَعَانِي . فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ . وَمَنْعَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ . فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَارَتْ يَدَتْ
(الكنز المدفون)

٢٨٦. قَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِفَسْحِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧. قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتِقِ :

كَأَنَّما الْفُسْتِقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ شَقَقًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرِيهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السِّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِيرِ

٢٨٨. وَقِيلَ فِي الْفُسْتِقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الشُّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمْرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتِقِ الرَّطْبِ الْجَنِيِّ وَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانِ زَيْتِ بَتَجَرَّدِ
عَالِلَةٌ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتِ وَقَابُ زَبْرَجَدِ

٢٨٩. قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلْنَارَ :

بَدَأْنَا الْجُلْنَارَ فِي الْقَضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَائِهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّما أَكْوَسُ الْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مَأَسَتْ مِنْ بَرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠. وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْبَدَى شُحَيْرًا وَأَوْدَاجَ الْأَبَارِيقِ تُسَفِّكُ
فَلَمْ نَرِ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنظَرًا مِنَ النُّورِ يُجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١. قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرَحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَيَأْشِرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأَفْحْوَانٍ وَوَرْدٍ وَخَزَامٍ وَنَزْجِسٍ وَبِهَارِ

٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَاتَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَيْتِكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسَّمَاءٍ بُكَاءٍ فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّبِيعِ أُنْبَسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا

٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَدَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقَلَّتْهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ

٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْ كَى مَا سَقَى مَاءُ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيْتٌ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنَعْمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبَرَ عَايِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهَنْ خَوَالِدُ

٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ تُعُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ تِلَاةً وَيُقَطِّبُ
وَكَانَ مُخْضِرَ الرِّيَاضِ مِلَاءَةً وَالْيَاسَمِينِ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ

٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقِيَا لَأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبَهَنِي
بَعْدَ الْهُدُوِّ بِهَا قَرَعُ التَّوَائِسِ
كَأَنَّ سُوْسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِفَةٍ
عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَائِسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلِ :

حَازَ السَّفَرُ جَلٌ لَذَاتِ الْوَرَى فَعَدَا
عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالتَّفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالرَّاحِ طَعْمًا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَائِحَةً
وَالتَّبْرِ لَوْنَا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بَغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ
بَلٌ لِأَكْمَلٍ وَمَصِّ لُبٍّ وَرَشْفٍ
كَمَلْتُ فِي أَسْتَوَائِهَا وَأَسْتَقَامَتِ
بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَطَفٍّ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا
وَأَضْلَعَهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ
وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا
أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ
لِرِاحِ أَعَادِيهَا وَكَأْسِ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ
وَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ فِي سُرُورِهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِإِلَادِهَا
فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَعَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشُّطْرُنِجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَاعَابِبَ الشُّطْرُنِجِ مِنْ جَهْلِهِ
وَلَيْسَ فِي الشُّطْرُنِجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لِعِبَارِهَا
شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ الْهَائِمَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
 وَصَاحِبَ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجَلَّاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُضِلُّ مَدِيرٍ بَعِيدٍ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالْمَرْءُ تُعْظَمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
 فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ :

وَزَارَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبِ وَتَنْزِلُ بِالْقَتَى مِنْ غَيْرِ حَبِيبِهِ
 وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
 تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرِيهِ
 وَيَتَنَعَّهُ لَذِيذِ الْعَيْشِ حَتَّى تَنْغَصَهُ بِأَكْبَاهِهِ وَشُرْبِهِ
 أَتَتْ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرَحًا بِهِ

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :

الْقَلْبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالِدَمُّعُ كَالدَّرِّ فِي الْخُدَيْنِ يَسْتَبِقُ
 إِنْ فَاضَ مَاءٌ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير و معاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَمِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةَ فَإِنَّ عَمِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَالكَ شَانُ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكْرَهُ أَوْلَهُ عِنْدَهُ وَأَخْرَهُ
عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ نَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ لِي مَا سَاءَ هُوَ . وَالذُّنْيَا
بِأَسْرَهَا هَيْئَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَأَتْ عَنِّي أَرْضِي لَكَ فَأَضْنُوهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمَهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ
فُرَيْشٍ هَذَا الْحَجَلِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةَ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مِنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْتَمَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أُبْتُلْتَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فِدَاؤِهِ بِمِثْلِ
هَذَا الدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل: كان المنصورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَاعْظَمَ قَدْرَهُ
يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَجَبَّهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يَسْكَبَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقَلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْدِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتِّمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَدَّتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجَمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَجَّتْهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيَهُ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
 لِيَقُومَ بَدَتِ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أُرْجِعُنَّ خَائِبَاتٍ
 خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ الْمُنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
 بِمُخْبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا
 وَتَشَبَّهَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَتَكَلَّمُ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّبَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للأبشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آداه العجوز من فقراء رعيته

٣٠٧ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً فَاصْدَأُ دَارَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا
 جَذَبَ بَنِي شَوْبِي وَقَالَ : أَلْزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ امِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَسَكِّرٌ . فَتَتَمَدَّدْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
 يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةَ بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
 الدَّامِسَ . وَكَانَتْ لَيْلَةً قَرًّا . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
 خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَبُيُوتِهِمْ وَيَتَأَمَّلُهَا إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
 نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَنَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا امْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلُهَا صَبِيَةٌ
 يُعْوَلُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَامَهَا اثْنَانِ فِيهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَبِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَصْبِحُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
 فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَمَلُّ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
 الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
 يُرْقِفُكَ سِرِّ بِنَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَّتْ لِلصَّبِيَّةِ
 فَأَكَلُوا وَاسْتَفْتَوْا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَا نَا الْمَكَانَ خَوْفًا
 أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءُ الْعُيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
 وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَصْبِحُ الطَّعَامُ
 فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
 وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَةَ. فَردَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَوْلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارِحُونَ وَيَبْكُونَ.
 فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِهِمْ مِمَّا فِي
 الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَتَقْطُ
 إِلَى أَنْ يَصْجِرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فِيغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
 فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغِي.
 فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمَهُمْ أَنْ فِيهَا
 شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَمَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا صَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عِيُونَهُمْ
 نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَطْوُوعَةٌ لَا أُخِ
 لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيَّا اللَّهُ عُمَرَ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهِ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَاتِلَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَةَ بِمَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعَيْتَهُ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مَبِينٍ وَلَا
 مُسَاعِدٍ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِنَا يَفْقُوهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صَبِيَّتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثْرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّاعِي الْحُرُّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَعَلَّ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالَ الضَّيْقَ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عُمَرَ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَةَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةُ وَالسَّاعَةُ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَمَشِينَا وَالْكَلابُ تَبَجَّنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَانِي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الذَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمْرُنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَنَرُ بَيْنًا وَشِمَالًا فَعَمَدًا إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَجْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلَ عَلِيٍّ كَتَفِي فَحَمَّاهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أُحْمِلُ أَنْتَ هَاتِيكَ جِرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جِرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدِ انْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْيَتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَشَيْنَا إِلَى أَنْ انْصَفْنَا وَقَدْ اتَّعَبَهُ الْحَمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي وَأُمِّي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلَ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمَلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمَلُ عَنِّي جِرَامِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظِلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّاهِذِهِ
الْعَجُوزُ تَعَلَّى أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرَّ بَنِي
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَصْجِرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ لَهْتَ الثُّورِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَعَلْنَا خِيَمَةَ الْعَجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَن كَتِفِهِ وَوَضَعَتْ
جِرَّةَ السَّمْنِ أَمَامَهُ . فَتَمَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقِ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعَجُوزِ : أَعِنْدَكَ حَطْبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطْبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِيِّ . وَجَعَلَ يُكْسِرُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطْبِ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِ لِحْيَتِهِ وَقَدْ كُنَسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِئُ رَأْسَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَأَبْتَدَأَ غَلِيَانُهُ . فَجَعَلَ يُجَرِّكُ السَّمْنَ
بِعُرْدٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمْنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أُنْجِحَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيَبْرُدَهُ
 وَيَلْقَمَ الصِّغَارَ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَانْكَنَفُوا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكِ . فَأَثْبَتَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَجِدَنِي هُنَاكَ فَارْحِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتِ الْعُجُوزَ
 تَعَلَّلْتُ صَبِيئَتَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتَهُمْ مَا طَبَخْتَهُ لَهُمْ وَأَكْنَفْتَهُمْ
 وَجَاسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَن ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرَ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَيْنَمَا لَيْتِنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتِ الْعُجُوزُ فَأَسْتَعْفَرَهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيئَتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوْفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للالبيدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حِكْمِي عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِيَ الْخِلاَفَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .
 وَأَمَتَلَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذْعَنَ لِأَمْرِ الْجُمْهُورِ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . أَسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَكَرَهُمْ وَقَائِعَ أَيَّامِ صِفِّينَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكِرْبِيَّةِ مِنَ الْمُعْرُوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كَرَفُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضَ . وَآلَ حَدِيثِهِمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بزيادةِ التَّحْرِيسِ . فَقَالُوا : أُمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَسِي الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . لَسْتُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَمَةٌ لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورُ لِأَقْبَلِ . وَالْمُسَالِمُ لِحَارِبِ . وَالْقَارُّ لَكُرٍّ . وَالْمُتْرَزَلُ لِأَسْتَتَرٍ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بئسَ أَشْرْتُمْ بِهِ وَقَبِجًا يَا قَاتِمِ . أَيَحْسِنُ أَنْ يُشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَمَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ أُمْرَأَةً قَدِ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَاتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدٍ لَهَا وَطَاءً لِنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مُقَدِّمٍ قَدِمَهُ وَأَفْذُ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سَيْرَكِ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعَامِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتَ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِيضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبَتَرَ الذَّنْبُ . وَالدهرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
 تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
 تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
 سَمِعْتِكِ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي السَّمْسِ . وَإِنَّ
 الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ النَّمْرِ . وَإِنَّ الْبُعْلَ لَا يَسْبِقُ الْقُرْسَ . وَلَا يَقْطَعُ
 الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . إِلَّا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرْشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
 أَخْبَرْنَا . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّمَّ شَمْلَ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
 الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ . أَفَمَنْ كَانَ
 مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْتَزَالِ التَّزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
 إِلَّا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
 الْأُمُورِ عَاقِبَةٌ . ائْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِبِينَ فَمَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
 أَلَيْسَ هَذَا قَوْلِكَ وَتَحْرِيضِكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
 شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتِكَ . مِثْلَكَ مِنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيُسِرُّ جَلِيصَهُ .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّ نِي قَوْلِكَ
 وَأَنِّي لِي بِتَصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَوْؤُكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
 أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تُشْضَ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيِّ
 حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِتَيْمِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
 مِنْ الْمُشِيرِ . وَلَوْ أَعْطَتْهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ
 إِلَيْكَ وَنَزَعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ مِنْكَ . وَمِثْلُكَ مَنْ قَدَرَ
 فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسَاءَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوءَةً
 وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضَيْعَةً تُغَلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .
 وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَائِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَايِي الْكُرْفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
 بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للابشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
 خَزِيمَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُؤَاسَاةِ . وَكَانَتْ
 نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمَّ يَزَلْ عَلَى تَيْمِكَ الْحَالَةَ مِنَ الْكُرْمِ حَتَّى أُحْتَاجَ إِلَى
 إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُؤَاؤِسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ حِينَئِذٍ مِنْهُمْ مَلُوهٌ .
 فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ
 رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَعْبِيرًا عَمَّا عَهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لَزُومِ بَيْتِي
 إِنْ أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَيَّمْتُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
 نَفَدَ جَمِيعَهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ وَالْيَا
 عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ : أَمَا وَجَدَ خَزِيمَةُ بْنُ يَشْرٍ مُوَاسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ :
لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ يَمِي الْفَيَّاضُ لِيَزِيدَ كَرَمَهُ وَجُودَهُ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خَزِيمَةَ فَتَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خَزِيمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ ذَكَرَ صَوْتَهُ : خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاوَلَهُ خَزِيمَةُ فَرَأَهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جَعَلَتْ
فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خَزِيمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِمَّا تُخْبِرُنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خَزِيمَةُ : زِدْنِي إِيْضًا حَا . فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خَزِيمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أُمْرَأَتِهِ وَقَالَ
لَهَا : ابْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَقُومِي أَسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خَزِيمَةُ يَلْمَسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خَشْرَنَةَ الدَّانِيَرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أُمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَتَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الخُلَيْفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الخُجَّابَ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانَ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِالمُرُوءَةِ وَالكِرَامِ فَادَّيْنَهُ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُزَيْمَةَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالخُلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانَ : يَا خُزَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الخَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُزَيْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنهَضَكَ الآنَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْهَامِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أُسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لِكَافَيْتَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لَخُزَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ العَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَاقَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَمَبَّلَ الأَرْضَ خُزَيْمَةَ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِالمَلِاقَةِ خُزَيْمَةَ

مع جميع أعيان البلد . وسلموا عليه وساروا جميعاً إلى أن دخلوا به البلد .
 فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ عكرمة ويحاسب . فحوسب
 ففضل عليه مال كثير فطالبه خزيمة منه . فقال له عكرمة : والله ما إلى
 درهم منه سبيل ولا عندي منه دينار . فأمر خزيمة بحبسها وأرسل
 يطالبه بالمال . فأرسل عكرمة يقول له : إني استؤمن بالله
 بعرضه فأصنع ما شئت . فأمر خزيمة بقبضه وضربه . فكبل بالحديد
 وضرب وضيق عليه . فأقام كذلك شهراً فأضناه ذلك وأضر به فبلغ
 أمراته ضره فجزعت عليه وأغتمت لذلك غمماً شديداً . فدعت جارية
 لها ذات عقل وفألت لها : أمضي الساعة إلى باب خزيمة وقولي للحاجب :
 إن عندي نصيحة للأمير . فإذا طلبها منك فقولي : لا أفوها إلا للأمير
 خزيمة . فإذا دخلت عليه فسليه الخلوفاً فإذا فعل فقولي له : ما كان هذا
 جزاء جابر عثرات الكرام منك بمكافأته له بالضيق والحبس
 والحديد ثم بالضرب . قال : ففعلت جاريتهما ذلك . فلما سمع خزيمة
 قولها قال : وأسوء تاه جابر عثرات الكرام غريمي . قالت : نعم . فأمر
 لوقتِهِ بدأته فأسر جت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم
 إلى باب الحبس . ففتحهُ ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس
 متغيراً قد أضناه الضر . فلما نظر عكرمة إلى خزيمة ووجوه أهل البلد
 معه أحشمه ذلك فنكس رأسه . فأقبل خزيمة وأكب على رأسه فقبله .
 فرفع عكرمة رأسه وقال : ما أعتب هذا منك . قال خزيمة : كريم فعالك

وَسُوءُ مَكَانَاتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ
 أَمَرَ بِسُيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوَضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسَمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يُصِرَّافَ فَلَمْ يَمُكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُزَيْمَةَ بِالْحَمَامِ فَأَخْبِي وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَفَإِذَا خُزَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَهُ عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
 بِمَقْدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَتَدَمَّرُ
 عَلَيْنَا بَغَيْرِ أَمْرٍ نَأْمَعُ قُرْبَ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِجَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْرَكَ بِنَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَسْرِ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبُ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رُقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَفُضِّصَتْ عَلَى أُمَّمِ وَجْهِ . ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْدًا كَثِيرًا مِنَ الْحُفِّ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزِيمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ مَكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُؤَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَنَجَّجَهُ. فَاحْتَالَ يَزِيدُ بِجَسَنٍ
تَلَطَّفَهُ وَأَرْعَبَ السُّجَّانَ وَأَسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسُّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يَعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السُّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَيْلِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجْرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَآبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَجْرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي لَيْفَعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا بِيَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَهُ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلسِلَةٍ وَغَايَهَا جَمِيعًا بَعْدَيْنِ وَحَمَاهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ تَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا لَللَّهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلُ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلُنِي إِنْ شِئْتَ تَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَا فِي سِلسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَانَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاتَعْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُحْتَجُّ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا مِثْحَاجُ مَا مِثْحَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عَذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَّاجِ مَظْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمُرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِللَّبَشِيهِي)

عفو كريم واحسانه الى من قتل اياه

٣١١ حكي أنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس أختفت منهم
 جميع رجال بني أمية وكان منهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك .
 وكان إبراهيم هذا رجلاً عالماً كاملاً أديباً وهو مع ذلك في سن
 الشيبه فأخذوا له أماناً من السفاح فأعطاه أبو العباس السفاح أماناً

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمَ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ:
 يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْدَوِّ . فَقَالَ سَمِعًا
 وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعِ عَلَى
 الصَّخْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ . فَتَحَيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَنَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْتَفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَظَنَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثْبَلًا
 عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ قَرَسِهِ وَالتَّمَّتْ فَرَأَيْتُ فَقَالَ لِي: مَنْ
 أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي
 مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عِنْدَهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تُدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ نَفِي مِ
 ذَلِكَ . فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ تَدَّ قَتَلَ أَبِي
 ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
 وَأَدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَدَّرْتُ
 تَعْجِبِي وَفُتُّ فِي نَفْسِي: إِنَّ الْقَدَرَ سَاقِنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجِبَ عَلَيَّ حَصُّكَ وَلَمَعْرُوفِكَ لِي
 يَلْزِمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى حَصِّكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَبَسَّسَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْجُرُكَ الْإِخْتِفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَأَلْفَتَ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمْنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للا تليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حكي عن معن بن زائدة أن شاعراً من الشعراء قصده فأقام
 مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك . فلما أعماه الأمر سأل
 بعض خدمه وقال له : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعْرِفَنِي .
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنًا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَمَرَّتْ عَلَيْهِ الْحُشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :

أَيَا جُودٍ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحُشْبَةَ تَحْتَ الْبُسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحُشْبَةُ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَمَّهُ فَرَأَى الْحُشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَأَلَمَّتْهُ الْحُشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنًا يَرَا جَعَهُ عَقْلُهُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلَمَّتْهُ فَخْطَرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ اُعْتَمَّ جَدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
وَأَلَّهُ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتَهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشَّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَسَبَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا تَبَنِي عَلَى شُرْبِي الْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ أَلْبَتَّةَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَنَ بِكَ وَلَا ضَعَنَ .
فَقُلْتُ: نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُهَّةٍ لُهُمَا . فَسُئِلَ بِهِمَا وَبِي
إِلَى الْمُهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَانِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضْرِبْتُ
ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي: إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكَ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا: ضَرَبَنِي
بِالسِّيفِ فِي جَنْفِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَعْشِيًا عَلَيَّ سَاعَةً . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَفَعْتَا عَلَيَّ عَيْنِي الْمُهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ:
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَبِيهَا بِالْقَبْرِ فَيَصِيرَنِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لَيْسَ كَنَ الضَّرْبِ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصِيرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِالنَّزْوِ وَالْبَقِّ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ: أَطَائِي لِي أَجْرَةٌ عَلَيْهَا
فَحَمٌّ وَكَنْدَرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُّ . فَأَتَيْتَنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْقَهْمِ . فَأَسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْوِ
فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدِ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيْتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِحَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَالِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلْتَا مِنَ الثُّغْبِ الَّذِي

خَرَجْتَا مِنْهُ . فَمَكَثْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 الْأَطَالَ لِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارِ أَلْهَوَانٍ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حَبَسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لِطَوْلِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فِسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَعْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الْأَغَانِي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمُظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ أُمْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٍ . فَوَفَّقَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُتَّصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرَّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدُ
 وَأَبْتَرَتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعْتِهَا ظُلْمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَقُرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ عِلَاةِ الْعَصْرِ فَأُنْصِرْ فِي وَأَحْضِرِي الْحُصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

وَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْبَضَ الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْوَاحِدُ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْأَحَدُ جَلَسَ فَبَكَرَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصْمُ . فَقَالَتْ : الْوَاتِقُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . وَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ بِيَدِهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَاهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرِضْعَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
 الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُؤْغَرَ لَهَا
 ضِعْفَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حكي أن عبد الله بن عباس كان من أكابر الأجواد الكرام
 فنزل منزلاً . وكان منصرفاً من الشام إلى الحجاز . فطلب من غلامانه
 طعاماً فلم يجدوا . فقال لو كَيْلِهِ : اذْهَبْ فِي هَذِهِ الْبَرِيَّةِ فَاعْلَمْكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبَاتِعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَائِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بَسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِعْيِ لَهْمٍ
 وَهَذَا أَوَانُ أَوْبَتِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدْتِ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الأَكْلُ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْنَعِينَ النِّصْفَ وَتُجُودِينَ بِالأَكْلِ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِیْصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الأَكْلِ كَمَالٌ وَنَضِیْلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هَمٍّ وَلَا مِنْ أَمِنْ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَى السَّاعَةِ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبِكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ العَالِيُّ وَذِرْوَةُ الرَّفِیْعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتِكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُّ عَلَى الخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ إِلَيْهَا أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَنَّهُرُ الأَيْسِرِ
وَأَهْجَعُ الأَكْثَرِ اللَّیْلِ وَأَرَى قُرَّةَ العَیْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَدَّخَرْتَ لِبَيْتِكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَدَّخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيِّبٌ حَيْثُ قَالَ :

وَلَمَّا دَأَبْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللهِ مِنْهَا تَعْجِبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظَمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخُبْرَةَ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . إِلَهَ عَنِ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوَثِّرُ فِي الْحِسَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَحْضَرُواهُمْ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّكُمْ لِمَكْرُوهٍ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَالْمُ
 شَعْتِكُمْ . فَقَالُوا : إِنْ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنِ سُؤَالٍ أَوْ مَسْكَافَةٍ لِفِعْلِ
 قَدِيمٍ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْهُ نَحْوَ مَنْ يَسْتَحْتَمُهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مَبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَعَرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمْرٌ لَهُمْ بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيُقَلِّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخُبْرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالٌ عَظِيمٌ كَرِيمٌ الْخَطَرُ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ بِأَنْ يَسْتَرِقَ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتْ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرَ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَفَدَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا أُلْحَالَ رَثَّ
 أَلْمِيئَةٍ . فَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ . فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا . فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يَرِيدُ النِّزْهَةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ . فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أَرْدِرَاءَ بِهِ . فَلَمْ يَبْزَنْ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعِنَانٍ فَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُكَ مِنْ شَرِّكَ . فَتَهَاوَمَ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ أَعْلَجَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : وَمَاهِي . قَالَ : أَنْ تُصْنِي
 إِلَيَّ بِسَمْعِكَ . وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ . وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ . ثُمَّ أَلْشَدَّ :
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي وَبِمَنْعِي الْحُجَابِ وَاللَّيْلِ مُسْبِلِ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُمْ قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ عِلْمِ الْحَيَّانِ قَيْسٌ وَخَنْدِفٌ
 تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرَحَلْتِي فَحِجَّتِكَ أَنْبِي أُنْخِرَ مِنْكَ فَهَزَّنِي
 فَلَا تَجْعَلَنَّ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً فَاسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرَّجَالُ صُفُوفُ
 ذِيَابُ جِيَاعُ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 وَأَصْرَفُ عَنْهُ إِزْنِي الضَّعِيفُ
 تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ
 وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
 بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُفُوفُ
 فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ مَخُوفُ
 فَاسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ فَرَسِهِ . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا بِثَوْبَيْنِ . فَثَبَّرَتْ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتْ الثِّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيَّ وَأَخْتَلَطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ يُجَيِّرُ مَا بَسَيْتَ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمعتم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ الْخَارِجِيُّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَوَكِبَ وَقَدْ جَاسَ
الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شِكَاكُهُ وَقَدْرُهُ وَمَشِيئَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَالَ :
يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُدْرَاتٌ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جبر الله به صدع الدين . ولم شعث المسامين . وأحمد شهاب الباطل .
وأنار سبل الحق) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ
الْأَفْئِدَةَ . وَأَمِمْ اللَّهُ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرَيْرَةُ وَأَنْتَ طَعْتَ الْحُجَّةَ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْمِهِ الطَّاهِرَةَ . ثُمَّ أَشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمْنًا يَلْحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَنْتَمْتُ

وَكَبُرَ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعِذْرٍ وَحِجَّةٍ
 وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
 وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتُهُمْ
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ
 فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بَغِيظَةٍ
 قَالَ فَبِكِّي الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : إِنْ مِنْ أَلْيَانٍ لَسِحْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
 وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبُقَ السَّيْفُ النَّدْلَ وَقَدْ وَهَبْتَكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
 وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
 (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلاً استغاث به وكان خائفاً على دمه فجوزي على احسانه

٣١٨ حَكَى الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَّاحُ
 الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَسْتَوَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
 جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً
 عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ
 وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . فَتَأَمَّ الْأُمُوِيُونَ عَلَى
 الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبْرُ وَأَنَا
 مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِأَتَبَعَ شَيْئاً أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
 وَدَخَلْتُ دَاراً وَجَدْتُ بَابَهَا مَقْرُوحاً فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْئاً مَرِيئاً جَالِساً
 فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . نَقَلْتُ : خَافَ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرَحِبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَدْخَلَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلُحْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَانِي إِلَى مَقْصُورَةِ حُرْمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَيْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلْبِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقْرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرِنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفِثَسُ بَيْتِكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَفَتَشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرُحُ مِنْ تَأْنِيْسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَكُنْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَاقَ بَوَالِي نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَافَى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَمْهَلْ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قِفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَكُنْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظَلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمَتَّعِبًا مِنْ غَزَاةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَغْدَادَ وَحَلَّمْتُ بِأَبِي جَعْفَرٍ
 الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرِ الْعَمِيقِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
 وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
 فَظَنَرْتُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ. فَفُلْتُ لَيْسَ بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
 هَذَا الرَّجُلَ وَأَحْتَفِظْ بِهِ وَغَدًا أُتِنِّي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فِقِدَ مِنْكَ فَلَا
 أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ. فَفُلْتُ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَظَنَرْتُ
 فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ
 فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزَكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَكَأَثَرَةَ حِرْصِي
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَنَفَرُوا لَنَا
 مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرْفَ
 قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا نَلِي الرَّجُلِ لِلَّيْلَةِ يَهْرَبُ
 فَيَرُوحُ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامَانِي فَبَجَاءُوا
 بِالْمَاءِ يَدَةً وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
 أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَجِرَتْ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيَفْكَرُ فِي
 شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ. فَقَالَ: مِنَ الشَّامِ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُ فُلَانَ الْفُلَانِيَّ
 فِي الشَّامِ. فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ مَنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِأَنِّي
 أُسِيرُ مَعْرُوفِهِ وَعَبْدُ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمَلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ.
 فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. فَطَارَ عَنِّي مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحْقِيقَهُ فَمَمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَرْتُ
أَقْفَالَ قَيْودِهِ وَهُوَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَبَى لِبَسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرُّ أَدَاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْزِلُكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَن بَعْدَادَ بِمَرَّاحِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَيْدِيكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبَ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذَ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِيَ سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفِتْنَةَ فِي الشَّامِ وَأَنَّ لِسَنِي أُمِّيَّةَ عِنْدِي وَدَائِعَ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَظُنَّ أَنَّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَسْكَانٍ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنَّ عَفَاكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلُبْنِي فَأَهْرُبُ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَّا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَانِي وَحَدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهَلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَرَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلِمَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدِ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْ فَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتَطَلَّقَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِنَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَنُجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيَفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا الْكُبْرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبِي
وَأُمِّي إِنَّ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبِي أَنْ يَهْرُبَ لِحُوفِهِ عَلَى عُنُقِي
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مُحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيَاكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأَحْضَرْتُهُ . فَأَسْتَبَشِرُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمْضُ مُسْرِعًا وَأُنْتَبِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقِّرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَحِينَ رَأَاهُ رَحَبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ
بِحَبَابِهِ وَآكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيْسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّيَهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقِّرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَا مَرْهُمُ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِجَوَائِحِهِ (للاتيدي)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْفُكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ بِحَبِّ يَطْلُبُ مِنْهُ فَرَوْهَ :
بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَنُورِ الْمُجْدِ وَالْحَسْبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ۚ مِنْ جَدْوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمُ أَيِّ خُرُوفٍ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَابٍ صَنَا حَابِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ :

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَتَضَيْتَ دِينِي
فِيكَانَ بِنَفْسِي الْخُرِّ فِيهَا وَسَاحُ نَاعِمٍ فَاتَمَّ زِينِي
فَصَدِّقْ يَا فَدَّتْكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَكَذَاكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ : لَا تَعُدْ فَتَحْلُمَ فَأَجْعَلَ حَامَكَ أَضْعَاثًا (لِلْأَزْدِيِّ)

سيد العرب

٣٢٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ :
مَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنَّوَالِ وَمَنْ لِمَعَالِي وَمَنْ لِلنَّخَابِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكُمَاةِ إِذَا مَا الْكُمَاةُ جَثُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لِأَنَّ كَلِمَتَهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ خَتَنُ أَبِي مَنْصُورِ الْحَلْبِيِّ . فَقَالَتْ : لَا جَاذِلَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى الطَّرْقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرٍ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَائِيَّةً فِي الْحَذَقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَعْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّوَدَّرَ فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْحَدَمِ فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قَمَّتِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ وَيَا لَكَ . فَقَالَتْ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ نَوَادِرِ تَضْحِكُ الشُّكُولَ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفِ جَائِزَتِكَ . فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلِيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَظَنَرْتُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقَفْتُ ثُمَّ أَطْبَعَتْهُ وَرَفَعَتْ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَالِغِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتَضْحِكُ بِنَوَادِرِ عَجِيبَةٍ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةَ تَفْتَقِرُ الْحَيْلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَسَّرُ بِهِمْ . وَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنِ أَضْحَكْتَنِي أَجْرَتُكَ بِخَمْسَةِ مِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنِ أَنَا لَمْ أَضْحَكَ أَصْفَعُكَ بِذَلِكَ الْجِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقَالَتْ فِي

نَفْسِي : مَا كَ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيْسَ خَفِيفٍ . وَاتَّفَتُ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رِيحٌ .
إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٌ هَيَّيزٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مَخْنَثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفَدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَفَتَرْتُ وَبَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاثُوا
مِنْ الصُّحُوكِ . وَهُوَ مُقْطَبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفَدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هَيْهَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى .
فَارَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعَلُ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَصَفَعْتُ بِالْجِرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَصَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَتَفَصَّلَ رِقَبَتِي
وَطَنَّتْ أُذُنَايَ وَأُنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحْتُ : يَا سَيِّدِي نَعِيحَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتِكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْخِيَانَةِ .
وَقَدْ ضَمِنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَانِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قَالِهَا وَكُثْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ أُسْتَوِفِتْ نِصْفِي رُبِّي
نِصْفَهُ . فَصَحَّحَكَ حَتَّى اسْتَلَقِي وَأُسْتَفَزَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلِيٌّ بِهِ فَأَنِي بِهِ . وَأَمْرٌ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَايَتِي . فَقُلْتَ لَهُ : هَذِهِ جَارِيَّتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ أُسْتَوِفِتْ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَقِيَ نِصْفِيكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعَ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكِنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخُذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ جَارِيَّتَهُ
الصَّفْعَ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْحِكِ مِنْ عِتَابِي لِلْخَادِمِ . فَمَا
أُسْتَوِفِي نِصْفَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعَدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدَعَكَ فُضُولَكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَكَ لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَفَسَّخَهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٣٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِرْهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لِحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرٍ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : فَصُمْتُ فِي السَّحْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَصْنَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بِعِلْمَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنَّا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبِيْتُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَصَمْتُ فَرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْعَمْ حَتَّى يَدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَأَعْتَمَدَ عَلَى خَشْبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا عَدَّهُ . فَأَزَلْتُ وَقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسَنَّا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ غَنِّي . فَأَنْدَفَعْتُ
فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَالْمَوْصِلِيِّ فِي الْمَوْتِ حَتَّى قَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَاعًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : أَلْحَقْ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصَدَّقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمَوْصِلِيِّ : أَمَا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمَاتٌ إِلَيْهِ

(الآخِانِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أُشْتَدَّتِ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ الْيَمْعَمِيِّ : أَمِدُّنَا بِخَيْلِ
الْيَمْعَمِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَاهِهِمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ فِتْعَارَ . وَأَعْنَاقَهُمْ لَيْسَتْ بِكِرَّاثٍ قَتَبْتُ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغِيرِ جُرْمٍ تَسَدَّمُ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ
ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثُّمَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أُرْمِيَ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ الْفِي جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحَلَلٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سَيْوْفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَأَكْتَبُوا	إِذْنًا عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ الْفِي سِجِلٌ	فَأَصْمَنُ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلُ
قَالَ وَقَدْ أَضَجَرْتَكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أُرْمِيَ كُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَبْتُمْ كُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى نَحْسِ رُحْلِ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى إِسْنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي أَمْتِحَانِ
الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحٌ
الْبَشْرَةَ وَالْهَيْئَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ التَّقَى إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْدَ أَحَدٍ فَهُوَ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرٌ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَفْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَبِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَائِرِهِ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيظَةِ أَنْتَ
لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قَرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ
السَّكَنِيِّينَ وَالْجُلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِيحُ الْوَجْهِ ذَكَرِي فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابي الفرج)

هذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبَسُهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جُعِلَ مَكَانُهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سِمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ حَمَلٌ
زُجَاجٍ مُذَهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أَيْبِعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِّينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعَطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرَ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ نَصِيدِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدٍ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَعَجَلَةَ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أَيْبِعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدَ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِّينَ دِينَارًا آخَرَ وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذَهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَبْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : أَحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبَسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسَ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَّاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحَمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ فَتَشَّ عَلَى مَدَّاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانِنَا أَتَرُونَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَتْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فُكِبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مَدَّةً
 وَعَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَّاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَعَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَّاسُ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَنَّ فَرَأَى طَاقَةَ نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرِّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَفْرَاهُ أَفْتَرَنِي هَذَا الْمَدَّاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَجْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيُرِيحَ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَفَعَلُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ نَسْتَحِيلُ

أَنْ تُثَبَّ عَلَى جِيرَانِكَ حَايِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضَ
 أُمَالٍ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السُّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمُدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنْيَفِ الْخَانَ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَّ قَصَبَةَ الْكَنْيَفِ فَفَاضَ وَضَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ . فَفَاشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَمَلَّوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنْيَفِ فَغَرِمَ جَمْعَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْذِيبًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمُدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُغْتَاظٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمُدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحٍ آخَرَ
 فَسَطَّطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَاسِعًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمُدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلِوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَفَقَدَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمُدَاسَ وَوَضَعَهُ فِي الْوَالِيِ الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمُدَاسِ مَبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنْي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامًا بَرِيًّا مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمُدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

أَبَابُ السَّادِسِ عَشَرَ
فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حكي أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُثَلَّةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بَعْلُوَ أَلْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ خَدَّرَ الْمَلِكَ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدَيْهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُثَلَّةَ وَرَدَّدَهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانَهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَعْتَدِرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَخَافَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَمَتَّ كَانِ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الْدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَانْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَتْ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ وَنَ إِشْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَدْفُنْشِ . فَتَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تَسْمَى وَبَنْدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَاغَاهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَدْفُنْشِ وَوُجُوهُ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَبَرَحَ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

المؤمنين يطلبون الأمان على أنفسهم على أن يخرجوا له من المدينة .
فأبى ذلك عليهم وأجمعهم فيهم ما نقل إليه من شدة عطشهم وكثرة
من يموت منهم . فلما يسوا مما عنده سمع لهم بعض الليالي لغط عظيم
وجلبة أصوات . وذلك أنهم أخرجوا أناجيلهم واجتمع قسيسوهم
ورعايتهم يدعون ويومنون باقيهم . فجاء مطر عظيم كأنه القرب ملاما كان
عندهم من الصهاريج . فشرىوا وأرتوا وترووا على المسامين . فأنصرف
عنهم الخليفة راجعا إلى إشبيلية بعد أن هادن الأذفئش (المرآشي)

مشهد الحسين

٣٣٠ ومن عجائب مشاهد مصر المشهد العظيم الشأن الذي بالاهرة
حيث رأس الحسين . وهو في تابوت من فضة مدفون قد بني عليه
بديان يقصر الوصف عنه . مجلل بأنواع الديباج مخوف بأمثال العمدة
الكبار شمعاً بيضاء أكثرها موضوع في أنوار الفضة . وحف أعلاه
كله بأمثال التفاح ذهباً في مصنع شبه الروضة . يبهر الأبصار
حسناً وجمالاً . وفيه أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع
الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إليها من مسجد على مثلها
في التائق . حيطانه كلها رخام . وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار
الذي يستشبهه الداخل شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص
كلها كأنه المرأة الهندية . ولتراحم الناس على التبر وأنكبايتهم عليه
وتمسحهم به وبالكسوة التي عليه مرأى هائل
(للشريشي)

٣٣١ نُسْخَةٌ مُبَايَعَةٍ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :
 بِأَسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَقَرًا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلْقِ
 فَبَاعَهُ قِطْعَةً أَرْضٍ وَاقَعَهُ بِكُورَةِ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 لِشَجَرٍ مُخْتَلَفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
 وَذَرَعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عِشْرُونَ فِي الطَّوْلِ بِإِلْتِزَاعِ
 وَذَرَعَاهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكِ التَّقِي وَحَائِزُ الرَّوْمِيِّ حَدُّ الْأَشْرِقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَأَنْغَرِبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلِ
 بَيْعًا صَحِيحًا لِأَزْمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شَرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطُلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهُ
 ثِنْتَيْنِ مَبْلَذَةٍ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمٌ جَيِّدَةٌ مَبِيضَةٌ
 قَبْضُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةً
 وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى فَقبْضُ الْفِضَّةِ مِنْهُ وَحَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
 وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبِ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَارِعُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِ قَوْمٍ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوَمَرْتٍ وَاتَّبَعُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيِي مِنْ وَافَقْتَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُرُوا عَلَيَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ خِيبَاءَ هُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فَقِدَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرَمْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ .
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمِعَ حَوَائِجَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةً . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخِيبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يَعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهَبُهُ الْخِيبَاءَ لِأَنَّهُ
 عَجِبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أَوْلِيَاكَ الْقَوْمَ فَتَوَلَّوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يَصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَرَوْا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَاكِسَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَوَّأَ الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَظَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عَنْقَ أَحَدِهِمْ وَقَرَّبَتْ بَأْتِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنْ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدِ فَمَاتُواهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَابَرَهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصِيدُوا وَجِعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَاكِسَ فَجَمَعَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بِلَاغِهِ أَنْهُمْ

قَادِحُونَ فِي مَلِكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَدَمِّمُ
الذِّكْرَ فِي الْحَبَاءِ مَشْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاكِ إِلَى حَيِّزِ الْجُبْرِ .
فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِيئِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفِنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حُدَبَاءَ حَدَائِيرَ . وَضَمَّتِ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيُّقْنَا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَفِي لَيْلَةٍ صَنَبَرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئُنَا جُرْعَاءَ بَدِ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةَ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَقَمَّتْ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكَبُوا إِلَّا بَعْدَ
هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّمُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَنَأَوْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . قَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةُ أَيْتِيكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَارُونَ عِوَاءَ
الذَّبَابِ فَمَا وَجَدْتُ عُمُولًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجَابُهُمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِشِي جَنَابِهَا
أَرْبَعَةَ كَأَنَّهَا نِعَامَةٌ حَوْلَهَا رِبَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَّأَ لَبَّتَهُ بِمَدِيَّةٍ
فَحَرَ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمَدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هَبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَالتَّفَعُّعُ فِي ثَرِيهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مِرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنِّي .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَعْيُنِي اللَّوْمُ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقْوِي لَشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقْوِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلِكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ أَمْالٍ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَخَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقُبِّ حَصَاةٌ ثُمَّ يَصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَمَا نَزَلُوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ التَّمَبُّ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يَحِدُّ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : أَسْقِ
أَخَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيُّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
نَزَلُوا مِنَ الْعَدَمِ مَنْزِلُهُمْ الْآخَرَ فَتَصَافَتُوا بِقِيَّةِ مَا لَهُمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظْرَهُ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَأَرْتَحِلَ الْيَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
أَرْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِضِ وَكَانُوا قَدْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَمَا أَيْسُوا مِنْهُ خِيَمًا عَلَيْهِ بَثُوبٌ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّبْعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكَوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنات هيكلك فيه صنم كان واقفاً في
وسط البيت . لا بقائمة من أسفله تدعمه ولا بعلاقة من أعلاه
تسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه واقفاً في
الهواء تعجب . وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من الهدايا
كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف
قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود .
وأما البيت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصنوع
بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوءها كان من قناديل الجوهر
الفايق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت
فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن
السلطان بين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه
أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في
الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت
العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من
حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه
وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فوافقه قوم وخالفه
آخرون . فلهما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب .
فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقرويني)

أَلْبَابُ السَّائِعِ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِيْحَاشِهِمْ أَنْسُكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتَ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا اسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قِضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي)
أَنْشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيِّ:

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانٍ بِهَا
وَأَرْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنَقَصَةٌ
وَجَانِبِ الدُّلِّ إِنَّ الدُّلَّ يُجْتَنَبُ
فَأَمْنِدُلِ الرُّطْبِ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبِلَدَتِهِ
وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
أَلْكَحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَعْجَارِ مُنْطَرِحًا
فَالْإِعْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ نَالَ الْعِزَّ أَجْمَعَهُ
فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ
تَرَحَّلَ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ فَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَثَلٍ بَلِيدٌ لَيْسَ يَبْلُغُ مَا ظَهَرَ
 فَفَنَفْسِكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَتَعَى مِنْ بَنَاهَا
 فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
 ٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
 زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبْحُ اللَّهِ
 التَّلَاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ حُلْطَةٌ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٌ . وَأَبْتِهَاجٌ سَاعَةٌ وَادْتِسَابٌ
 زَمَانٌ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُهُ إِلَّا اجْتِمَاعٌ وَلَا أَكْرَهُهُ الْفِرَاقَ . لِإِنَّ مَعَ الْفِرَاقِ مُبَهِمَةً
 يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعٌ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْجَمَاعِ مِحَازِرَةٌ
 الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
 لِلرَّحِيلِ الْمَاءَ وَلِلْيَيْنِ حُرْقَةً أَقَاتُ حَقًّا . لِإِنِّي نَبْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
 وَأَنْسُ الْمَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْجَمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسَامِيهِ .
 وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَابِ بِالشُّوقِ . وَالْأَنْسُ بِالمَكَاتِبَةِ (المقدسي)
 قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الْوَدَاعِ
 قَالَ ابْنُ النَّطْرُونِيِّ :

بَاتَتْ تَصَدُّعُ عَنِ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
 إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ التَّنَاوَعِ لَلدَّقَامُ الْأَطْيَبُ
 فَأَجِبْهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَابُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجُدُّ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يُتَعَبُّ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ سَمَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطِيشُ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَلْحِجُ عَلَيْهِ النُّفُوسُ . وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيَذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ أَهْوَنُ مِنْ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النِّزَامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتِ الْقُلُوبَ وَهَدَّتِ الْجِبَالَ . وَجَمْرُ الْعِضَا أَهْوَنُ تَوْهَجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَنْ يَنَاعِنُ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رَعُودُ جَمَّةٍ وَبُرُوقُ قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ:

قَالُوا أَقَمْتِ وَمَا رُزِقْتِ وَإِنَّمَا فَاجَبْتَهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْخَطُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُطْلَقُ كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَبِهِ إِذَا حَرِمَ السَّعَادَةَ يُخْفِقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)
ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التِّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَقْرُفُ فِيهَا مُسْلِمٌ قَرَارًا . مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَعْصُ بِتَاطُنِيهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعًا بِسَاكِنِيهَا . أَسْوَأُهَا نَافِقَةٌ حَفِيَّةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَاةِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَنْدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَجْرُ يَعْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَجْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكُبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تُمَسِّكُهُ وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشْبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيعِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا لَيْسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفًةً مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطَفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَجْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيَتَابَعُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةٌ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةٌ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتُرُّ بِالسُّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُّ بِالتَّجِّ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرِّفَاهَةِ . مَشْحُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بِسَاتِينَ مُثْمَرَةٌ بِالتَّقَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطٍ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِجَاصِ
وغيرها مِنَ الْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرٌ مِنْ ذَوِي الْمَهَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكِيهَا . وَالْمُسَامِينُ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 يَعْرِفُونَهَا بِبِلْمَةِ . وَفِيهَا سَكَنَى الْحَضَرِيِّينَ مِنَ الْمُسَالِمِينَ
 وَبِلْمَةُ هَذِهِ مَسْكَنُ مُلْكِهِمْ ذَلِيَامٌ . وَهِيَ أَحْفَلُ مَدِينٍ صِقَالِيَّةٍ
 وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
 كَثِيرُ الثَّقَةِ بِالْمُسَامِينِ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ . وَعَالِيَهُمْ يَلُوحُ
 رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مَتَسِعُونَ فِي الْمَالِيسِ الْفَاحِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْفَارِهَةِ .
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
 الْمَشِيدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنْبِيَّةُ وَالْأَسْيَا بِمَضْرَعَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةَ الْمَذْكُورَةَ .
 وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَبْيَضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
 مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
 تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْسِيمِ رَرَاتِبِ رَجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أُمَّةِ
 الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسَالِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جَدًّا وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
 وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
 ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا أَجْتَازَ بِلَدِيهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
 مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ أَنْ تُخَدِّثَ بِهِ أَنَّهُ يَهْرَأُ وَيَكْتَبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ : أَحْمَدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
 وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارٌ صِنْعَةٌ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
 لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ . فَكَانَ نُزُولًا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْمَانًا بِهَا تِسْعَةَ
 أَيَّامٍ . فَأَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يَبْصُرُهُ
 رَأْيُ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رِخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزُّورِقَ
 أَهْنًا تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
 وَمَعَاقِلٍ فِي قَتَنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تَسْعَ جَرَائِرٍ
 قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ أَثْنَانٍ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهَا
 النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَآذَاتِ
 السُّنِّ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهِيَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
 مِنْ مَنَافِسِ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيٌّ بِقُوَّةٍ
 شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرَبَّمَا قَذَفَ فِيهَا الْحَجْرَ الْكَبِيرَ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
 الْمَوَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْأَسْتِقْرَارِ وَالْإِثْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
 وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمَسْمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
 الْمَعْرُوفُ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَسْجَلِ
 الْعَرَمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكَبُ تَجِبَهُ
 عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَعُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
 وَحَلَانَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَسَى مَدِينَةَ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِضْبِ وَاسِعَةٌ
 الْمَرَاقِي . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مَرَّتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
 طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا عُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَاعَةٌ أَمْ
 يَرَأَى مِنْهَا أَخْذُهَا عُدَّةً لِأَسْطُولِ يُفْجَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثَرْمَةَ صَحْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرٍ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مَيْلًا . فَأَتَيْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقٍ ثَانٍ أَكْثَرُ نِيَاهُ لِيَكُونَ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضَعًا مِنْ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجْمَةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنِ اتِّخَاذِ حَمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَتَحْنُ قَدْ
 أَرَسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنْ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَمَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَمَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُتَّصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِبَلْرَمَةَ خَمْسَةَ
 وَعِشْرُونَ مَيْلًا . فَخَشِينَا طُولَ الْمَقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنِيفًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَّصِفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْإِسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّانَا بَعْضُ أَسْبَابِنَا وَخَلَّفَنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزَّوْرَقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقِ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةَ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّأَتْ النَّصَارَى تِلْكَ وَنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُونُسُونَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
 الْعَجَبَ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
 بِنَا الْإِعْيَاءَ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
 الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَبِأَزَابِهِ
 عَيْنٌ تَعْرِفُ بِعَيْنِ الْمُجَنُّونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
 وَعُلَايُ مَشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَافِقُ السُّكْنَى وَفِي
 أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
 مَفْرُوشَةٌ بِحَصْرِ تَطْيِيفُهُ لَمْ يَرِ أَحْسَنُ مِنْهَا صُنْعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
 الْأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
 مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَيْرٌ عَذْبٌ. فَبِتْنَا فِي هَذَا
 الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِجُرْبَةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ الْمِيلِ إِلَى
 جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرَ عَلَى صِفَتِهِ يَعْرِفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
 تَفُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَائِسَ مَعْدَّةً
 لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَهَمُّمْ فِي مَدِينِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
 الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
 بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنْعَنَا
 وَحَمَّا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غَلِيَامٌ وَأَدِينَا إِلَى
 الْمُسْتَحْلِفِ لَيْسَا لِنَاعِنَ مَقْصِدَنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ فَسَرْنَا فِي
 سِكَكِ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِفَةَ

وَأَمِيادِنِ الْمُنتَظِمَةِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَخَذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَرَاعَ
أَبْصَارِنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارِنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيهَا أَبْصَرَ نَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةِ
فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بَسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطَاتُ. وَاجْتَلَسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا. فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَظَرِهِ.
فَاعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غُذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةَ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْلَفُ بِيَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يُحْفَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَ ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْسَ فَاعْلَمْنَاهُ. فَظَهَرَ الْإِشْفَاقُ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بَانْصِرَإِنَا
بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالِدُعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبْرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلَمُهُ
بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِذِي جَنَبَرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطَا
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَاعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَمْسَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذَكَرُ بَلْرَمَةً) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمَّ الْخَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ
أَخْضَرَ. عَتِيقَةٍ أَيْقَةٍ. مُشْرِقَةٍ مُؤْنِقَةٍ. تَتَطَّعُ بِمَرَايِ فِتَانٍ. وَتَخَابِلُ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلِّهَا بَسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّ وَالشَّوَارِعُ. تَرُوقُ

الْأَبْصَارِ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطُبِيَّةُ الْبَنِيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَنْحُوتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْفُهَانَهُرُ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عَيُونٍ قَدْ زَخَرَفَتْ مِنْهَا الْمَلِكُهَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِيِّ . تَنْتَظِمُ بِأَيْتِهَا قُصُورُهُ اتِّتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعَابِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَانِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زَهَةِ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرٍ وَمَصَانِعٍ . وَمَنَظَرٍ وَمَطَالِعٍ . وَكَمْ لَهُ بِجِبَاهَتِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ
 قَدْ زَخَرَفَ بِنْيَانِهَا . وَرَقَّةً بِالْأَقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانِهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صَبِغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَابِغَانِهَا . وَوَلَاهُ سَامِيْنٌ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ أَنْفَرُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٍ
 بِهِمْ وَهُمْ التُّجَّارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاؤِهِمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبِيهُ
 بِقُرْطُبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطُبَةٍ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارٌ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ . لَهَا مَنَظَرٌ فِي الْجَوْ مُظْلَمَةٌ تُحَارُّ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلْمَرَّةِ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَا مِنْهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرَ نَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٌ . وَقَدْ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرَ نَا مِنْ بِنْيَانِهَا مَرَأَى
 يَعْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْوَاحِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَر

مِثْلَهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ النُّصُوصِ
 الْخُضْرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالسَّمْسِيَّاتِ الْمَذْهَبَاتِ مِنَ الرَّجَاجِ . فَتَخَطَّفُ الْأَبْصَارَ
 بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحَدِّثُ فِي الْأَنْفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
 تَنَسَّبَ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَهَذِهِ الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرَّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قَبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 عَجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِي النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِي
 نِسَاءِ الْمُسَامِينِ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحَفَاتٌ مُتَشَبِّهَاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَسْنَا بِثِيَابِ الْحَرِيرِ الْمَذْهَبِ وَالْتَحَفْنَا بِالْحَفِّ الرَّائِقَةِ
 وَاتَّقَيْنَا بِالنُّشْبِ الْمَلُونَةِ . وَاتَّعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكِنَائِسِهِنَّ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسَامِينِ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخْضُبِ
 وَالتَّعْطُرِ . وَكَانَ مَقَامَنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَرْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجَنْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُشٍ بِسَبَبِ مَرَكَبِهِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَالِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ . فَسَلَكْنَا عَلَى قَرْيٍ مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرَمْثَلْ تَرْتِبَهَا طَيِّبًا وَكِرْمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَبَابِنِيَّةِ
 قَرْطَبَةَ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْتَنُ . وَبِتْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلَمَةٍ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسَكَانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ . وَثَمْنَا مِنْهَا سَحَرَّ
 يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ . وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يُنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَاهَا
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا . فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ . فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْخْنَا الْأَبْدَانَ بِالِاسْتِحْمَامِ فِيهَا .
 وَوَعَلْنَا إِلَى اطْرَابُنْشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارِ أَكْثَرِ يَنَاهَا
 (مَدِينَةُ اطْرَابُنْشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ . غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمَسَاحَةِ . مُسَوَّرَةٌ بِيضَاءِ كَالْحَمَامَةِ . مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِطِ
 وَأَوْفَقَهَا لِلْمَرَآكِبِ . وَلِذَلِكَ كَبِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّامَا
 الْمُقْلَعُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُودِ . فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .
 فَالْسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رِيثًا تَهْبُ الرِّيحُ
 الْمُوَافِقَةُ . فَفَجَّرَهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْجَمَازِ الْقَرِيبِ . وَبِهِذِهِ الْمَدِينَةِ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ . لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 ضَيْقَةً . وَالْبَحْرُ فَاغْرُفَاءٌ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ . فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُدَلُّهُ
 مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخَى مَدَى أَيَّامِهَا . وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَثٍ عَظِيمٍ . وَسَكَانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكُلِّ الْأَقْرَبِيِّينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ . وَبَرَكْنَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَا بَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطٌ السَّمْوِ مَتَّسِعٌ . فِي

أَعْلَاهُ قُنَّةٌ تَنْقَطُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَّجِرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرُونَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسُوا بِجَادَتِهِ حَصَّنُوا حَرِيمَهُ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَأَعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَّجِرَةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاؤُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
 لَا يُسَاعُ . وَأَلْقَيْنَا الْمُرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤَمِّلُ رُكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ مِّنْهُ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِغَارٌ
 مُتَّجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلِيْطَةَ وَالْأُخْرَى بِبَايْسَةَ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعُدُوِّ . وَالْجَزَيْرَتَانِ لِأَعِمَارَةٍ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمُرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لِابْنِ جَبْرِ)

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ
فِي عَجَائِبِ الْحُلُوفَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقُرُونِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنِ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنِ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّخْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّخْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمَتَسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاذِقُ مَعَ الْفَرْجَارِ وَالْمِسطَرَةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بَيْوتَهَا الْمَتَسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالَفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أودَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلسَّيِّئِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقَدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَعْطِيَةِ خِرَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءِ رَفِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يَنْشَفُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغَبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبُرْنِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعِدِ . وَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْأَمْثَالَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ التَّجْرِبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا وَقَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَعْرِقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهْوَاتِهِ وَقَدْ أُنِسَ بِمَدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسْرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَعْتَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ أَنْطَاقَ لِسَانِهِ
بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمُرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
عُقُولُ الْعُقَلَاءِ وَتَدَهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذَكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالنَّسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبَحَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحِكْمَةِ مُلَاقَاتِهِ فِي فَلَاقَةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ رَحْوِيَّةً . وَبَعْضُهَا
حَمَلِيَّةً . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَعَمُّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
وَإِخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِإِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَإِخْتِلَافِ
الْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنِ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنِ وَسْطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جَرْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِجَنُوبِ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أُمَّتِلَائِهِ وَأَنْخَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجْرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعٍ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبْصِرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشُّهْبِ
وَالْغَيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالشَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَتَلَاعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرَشُّ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطْرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ يَرْفِقُ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدَشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مُقَدَّارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَغْفِنُ
النبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُوءُ . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ الشُّهْبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يَرْبِي الزَّرْعَ وَأَشْمَارَهُ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَفُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ أَكْنَافِهَا وَبَعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْأَدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقْرًا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
 ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوْتَادِهَا لِيَنْعَمَ مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
 ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْسَالِهَا كَالْخِزَانَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْتَجِرُّ
 مِنْهَا الْعَيْونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
 زُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْأَتَالَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبِحَارِ دَائِمًا
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبِحَارِ الْعَمِيمَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ أُنْجَرِ الْأَعْظَمِ
 الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
 بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
 مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
 إِلَى خَلْقِ الْوُؤُوفِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
 الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
 مَا عَدَاهُ مِنَ الْعَنْبَرِ وَأَصْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَقْدِفُهَا الْبَحْرُ وَتَسْتَخْرُجُ
 مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبِحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَّاحِ
 وَإِلَى اتِّخَاذِ أَلْمَتِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَاتِيِّ مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَافِقَتِهَا .
 وَعَجَائِبُ الْبِحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ مِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
 كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
 كَالْقَيْرِ وَرُزْجِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبْرَجِدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَّتِهَا
 وَتَخَاذِ الْجِلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِيِّ مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

وَالْكَبْرِيَّتِ وَالْقَيْرِ وَغَيْرِهَا وَأَجْلَهَا الْمَلْحُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بِلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
 أَنْفَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْفُؤَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَايِحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحِي نَخْلَةٍ مُطَوَّقَةٌ بِعِنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعَ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبُؤَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الطَّرُّ عَلَيْهَا أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رُوحٍ بِهَيْجٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَالْوَانِيَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَأَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمَّ تَبَتَّ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعٌ يَتَقَفُ
 فَوْقَ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّمْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ . لِيَرَى مَا يَتَخَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا الْبَيْتِ وَجَمْعِهَا الْغَدَاءَ
 وَادِّخَارِهَا لَوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحَذَقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنْ أَعْجَابٍ مَا لَا يَحْصِي . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعا

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكُوكَبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّيْبِي الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَحَمُّونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَامَلِكٍ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ. وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرِيخَ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمَشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي. وَزَحَلَ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ. وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِيَّ.
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِيمِ. وَالْبُرُوجَ كَالْبُدَانَ. وَالذَّرَجَاتَ كَالْعَسَاكِرِ.
وَالدَّقَائِقَ كَالْمَحَالِّ. وَالثَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَابِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا أُنْحَدَرَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ. وَلُطْفُ آخَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَإِلَّا لَأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهُمَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازِلٌ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شِعَاعِهَا. وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِتَعْمَّ فَائِدَتَهَا أَمَّا إِلَى الْجِهَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعمل إن الشمس في جوف الفلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها الى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء ان الأفلاك تدور حول الشمس
وأبطل ما اعتقده القدماء من ان الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَابِ الْعُقْرَبِ .
 وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى
 تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
 السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
 جِرْمَ الْقَمَرِ كَمَدٍّ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . وَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
 وَكَانَ فِي إِحْدَى نِقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
 الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
 لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكَثٌ لِأَنَّ فَاعِدَةَ مَحْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
 صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
 يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
 الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
 الْعُلُويَّاتِ فَاخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
 النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبِحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا اشْرَقَتْ عَلَى
 الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَبْجَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبِحَارُ إِلَى الْهُوَاءِ
 الْبَارِدِ تَسْكَثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَأَنْعَقَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
 الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبِحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُجِيبِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان و خروج
النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت
بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا تثبت تحت
النخيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شي من الزروع
لأنها تمتع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النيلوفر والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذابت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإننا
نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
فتظهر فيها قراهة وانتعاش قوة . وكما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال ترداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وحسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مسكانه الطبيعي الفلك الأسفل وهو
جرم كفيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنَّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا فَارَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَظْهَرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةٌ هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الْأَنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ أُوَاجِهَهُ الشَّمْسُ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَابَرَةِ الشَّمْسِ يَنْمَحِي نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نُقْطَتَيْ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ قَيْرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَّارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَنْتَهَى الْمَدُّ مِنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَلْتَهِي الْجَزْرُ مِنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقَدْ أُتْبِدَاءَ الْمَدِّ

أَحْسَ لِمَاءِ حَرَكَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجًا فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِيِّ فِي الْبِحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

في الحجرة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وَهِيَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. وَزَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُتَقَابِرَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحَجَرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةِ مَنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشَّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ . . .
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنَ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْ وَعَشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ تِسْعَمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْمِحْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الشَّمَالِي مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضَهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
 السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضَهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
 الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضَهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
 وَبَعْضَهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضَهَا عَلَى
 صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضَهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعَقَابِ .
 وَبَعْضَهَا خَارِجًا عَنْ شَبْهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
 الصُّورِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامًّا حُلُقَةً مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
 حَيَوَانٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ . . . وَإِنَّمَا
 أَلْفَوَاهِذِهِ الصُّورِ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
 يَعْرِفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
 فَلَكِ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
 بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَاعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جَمَلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَضْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
 قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وُرُودُ الْفُضُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
 فَلَوْ انْتَقَلَ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
 فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
 إِلَى الْبُرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
 التَّغْيِيرِ فِي الْفُضُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ أَمْتِنَانَهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ بَرَجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَأَعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَ النَّسِيمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَعَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَّ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَأَنْفَعَحَ النَّوْرُ .
 وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَجَّتِ الْبِهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَأَنْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنِ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَبَّتْ
 لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَحِينَئِذٍ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
 وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَأَشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَسَخَنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الْحُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاعَتِ الدُّنْيَا وَسَمِنَتِ الْبِهَائِمُ .
 وَأَشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرَّيْفُ . وَأَنْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَيَبَسَتِ
 الْعُشْبُ وَأَدْرَكَتِ الْحُصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَأَتَسَعَ لِلنَّاسِ الْقُوَّةُ
 وَاللَّطِيْرُ الْحَبُّ وَاللِّبْهَائِمُ الْعَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عُرْسٌ مُنْعَمَةٌ بِإِعْتِمَادِ كَامِلَةِ ذَاتِ جَمَالٍ وَرَوْتِقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبَلَةِ فَيَمْتَدُّ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُورِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أُسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ الْأَيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَمْتَدُّ بَرْدَ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيَرُ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَمَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَيَبَسَّتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الثَّمَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالثَّمَرَ وَعَرِيَّ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُّ وَأُبْجَحَرَتِ
 الْحَشْرَاتُ . وَأَنْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّابُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيَرُ الْهُوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْمَلَةٌ قَدِ وُلَّتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُورِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَشِنَ الْهُوَاءُ وَتَعَرَّبِي الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتِ بَطُونُهَا وَفَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَأُبْجَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُفُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلَّحَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزَّتِ الْبَهَائِمُ وَضَعُفَتِ قُوَى الْإِبْدَانِ . وَمَنْعَ

الْبُرْدُ النَّاسَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْشِ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاغَهُ صَائِقًا لَمْ تَغْلُ
 قِدْرُهُ شَاتِيًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرَمَتْ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعَ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالشَّلُوجُ عَلَى الْجِبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الشَّلُوجُ وَتَقِضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَحْزُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي آسَافِلِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَيِّمَةٌ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جريانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتِهَا لِوُصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِزَانَاتُ فِي آسَافِلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبِحَارِ أَوْ الْبَطَائِحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقَرْىَ وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبِحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَاطْفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغَيْومُ وَتَسُوْفُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ . وَيَمْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاصِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَابُّهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طِبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خَلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمَقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
أَنْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرَ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ أَلْمِحِيطَ الْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاتِي عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
غَائِضَةٍ فِي الْمَاءِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَأْسَاءً
وَلَا مُصَمِّتَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الْإِرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخَلْجَانٌ . وَكُلُّهَا

مَمْتَلَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةً . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شِبْرٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
 وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَالْوَانِيهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَتَمَدَّ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتَرَسِ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
 جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَّةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
 فِثَاعُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأُسْتَدَارَةِ وَالَّذِي
 يَرَى مِنْ دَوَّرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوَّرُ الْأَرْضِ لَا دَوَّرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا اشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
 لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَامِحَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدُ الزَّمْهِرِ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَّصَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَعْلُظَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ حَتَّى يُنْجِنَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَكَمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْصَمَّتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَتُهْتَمُّ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجْمَدَهُ أَوَّلًا فَصَارَ نَحَابًا رَاقِقًا .
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرَطًا أَجْمَدَ الْبُخَارَ فِي الْعَيْمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجًا لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ وَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرَّفْقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لَدَطَرُ وَالْبَرْدُ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِعًا أُرْتَفَعَ الْبُخَارُ فِي الْعَيْوِمِ وَتَرَاكَمَ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّمْرِيرِ مِنْ فَوْقِ غَاظِ الْبُخَارِ وَصَارَ مَاءٌ
وَأَضْحَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَكَهَاتِ تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطْرَاتُ الصِّغَارَ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرَطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْجُرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَثَّفَتْ فَإِنْ لَمْ يَنْجَمِدْ نَزَلَ طَلًا وَإِنْ انْجَمَدَ نَزَلَ صَفِيحًا

في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَالَتْ مِنْهَا أَجْزَاءٌ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءٌ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
يُمَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يُمِزَّقُ السَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنيفًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرَبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 فَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تُضَرُّ الخَشَبَةَ وَرَبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْحِرْقَةِ وَلَا تُضَرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يُحْدِثَانِ مَعًا
 لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوِيَّةَ تَحْصُلُ
 لِمَحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجْرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجْرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
 وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَاثُرِ أَجْزَاءِ الْعَمَامِ .
 فَإِنَّهَا إِذَا تَكَاثَفَتْ انْحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يُجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَاتِ لِلْفَرْوِينِي)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهر بائية وقد

أنواع على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب المحتى الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢ م)
 ٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَمَقْدُ نَزَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَذَرِّينَ فَدَعَوْا نَامَا لِكِهَامَا إِلَى
 طَاعَتِنَا فَأَبَى . فَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَا نَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً وَقَدَدَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا
 فَإِنْ أَتَيْتَ فَرُوحَ وَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ . وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سَاطِنَ مِنْكَ عَلَيْكَ .
 فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ حَنْفِهِ بِظُفْرِهِ . وَأَلْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ . وَالسَّلَامُ
 ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تَيْمُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْعَجْمِ أَبُو النُّوَارِسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
 مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ . وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي . وَقَدْ
 رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ . وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ
 قَدَمِي ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ الْخُرَابُ وَالْمُحْطُ وَالْوَبَاءُ . وَإِثْمٌ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ
 عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اِخْبَارِ تَيْمُورِ لَابْنِ عَرَبْشَاهِ)

كتاب الحسن بن زكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ
 لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدِ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ .
 فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ فَمَقْدُ أَنْهِيَ إِلَيْنَا مَا
 حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفْرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنْ

الظلم والعَبَثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا . فَأَنْفَذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمَصَ وَخَنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَخَنُ نَزْجُو أَنْ يُجْرِنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَلِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَابِكَ وَقَلْبُ مَنْ
أَتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتَبَادُرِ الْإِنْيَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المکتوب العليُّ الإماميُّ عن الأمرِ الالهيِّ الذي
دانتِ إطاعته الكريمة ممالكه الإسلامية . وانبأدت لدعوته الشريفة
الأقطار المغربية . وخضعت لإوامره العلية جبايرة الملوك السودانية .
وأقطارها العاصية والدانية . إلى الملاك الذي له بين ملوك النصرانية
والممل السخية الرتبة العلية والمنة الرفيعة السامية . سلطان
فرانصة لويز ابن السلاطين الذين لهم المكنانة السامية المنار
أما بعد حمد الله مولى الحمدِ ومُسْتَحَقِّهِ فكتبنا بهذا إليكم من حاضرنا
العية مدينة مراکش ولا زائد إلا ما سنأه لإياتنا الشريفة من عوائد

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَائِعِ اللَّهِ الْجَمِيلَةِ الْمُفْعَمَةِ السَّجَالِ. الْمُنْثَالَةِ فِي الْأَبْرَ
 وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ الْمُنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
 خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْأَخْرَظُ الرَّزِيْلِيُّ عَلَى مَرَسِي تَعْرِفِي الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمُصْحُوبَ مَعَهُ لِحَدَانَا الَّذِينَ بِالْشَّعْرِ بَادِرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
 فِي الْقُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْمُحِبَّةِ وَتَأْسِيسِ
 الْهُدَاةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَيْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَانِصِيِّينَ
 الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَمَّ الْأَخْذِ
 وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أُسْتُوْفِي ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ. وَأَجْبَنَانَا
 عَنْ فُصُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
 الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْجَنَاتِيِّ. وَقَدْ أَنْ
 يَأْتِي مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
 تَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ خَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمِثَابَتِهِ
 فِي أَعْرَاضِكُمْ لِيَسَامَهُ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَعْرَاضِ
 الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورِ لَمَّا بَلَغَ تَعْرِفَ أَسْفَ فَقَدْ خَدِيمِكُمْ مِنْ
 الْمَرَسِيِّ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَبُ بَعْضُ
 الْخُدَامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثْرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمِكُمْ عَلَى عِلْمِهِ
 وَيَعِينُ أَنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورِ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ قَطَّقَ قَبْلَ
 وَصُولِهِ. وَالْخَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَعْرَاضِ صَيْفِهِ لَا يَسْتَفْزُهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِمِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ الْأُتْرَعَاجُ قَبْلَ اسْتِفَائِمِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتُرْفِقُوا أَن تَلْمَ نَقَصَرُ فِي أَعْرَاضِكُمُ الْمُتَلَقَّةَ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكِتَابُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِأَحْوَالٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَاكُشٍ وَنَاسِ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَاكِ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ الْأَفْرَنْصِيِّ الْمُتَوَلِّي
أَمْرِهِمُ الرَّيِّ لُوِيْزِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُتَمَضِّنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرَّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسِ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُوْنُصُوْكُمْ بَرْطَامِي
دِبْطُنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدِّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رِعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُخْلَفُهُ
فِي الْمَمْلَكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رِعِيَّتُكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالصَّالِحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سُنْفًا مِنْ سُنْفِ الْأَفْرَنْصِيِّ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الْأَصْحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفُرْقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِمُهَادَنَةِ
وَالصَّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصْلُكَ سِتَّةً مِنْ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خِيَانِنَا
صَلَّةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخُدَّيْمِنَا الْمَذْكُورَ لَا تُبْطِئُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجْهَهُ الْيَنَاعِزْمَا
بَعْدَ قَضَاءِ الْغَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلْحِ .
أَنْتَهَى . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكِتَابِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ نَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُنْصَقٌ بِإِسَانِي .
وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهْوَاتِي وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْأُنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَفُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسٌ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادبة

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِبَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تُضَاحِكُ الشَّمْسَ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتِ السَّمَاءُ تَعْلُمُهَا فِيهِ مَشْرِقَةٌ بِمَايَهَا . حَالِيَةُ بِنُورِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سِوَاءٍ مِنْ أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكُتِبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ أَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوْجَبَ
 اتِّجَاعُهَا وَحَثُّ الْمَطِيِّ فِي ابْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْبِيٍّ مَنْظَرِهِ حُسْنٌ وَجْهَكَ وَطِيبَ شَمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كُتِبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَمُودَةٌ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا. وَالصَّنَاعَةُ تَوْلَدُنَا سَبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَخٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَانَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسَدْتَ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَائِعِيهِ
 تَصَافُ الْبَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. تَمَّمَ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمَجْدَدَةَ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْغُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أُنْسَ بَعْدَهَا. (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كُتِبَ بَعْضُ الْكُتَابِ إِلَى أَخِي لَهُ): أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِنْ عَانِي
 الظَّمَا بِفِرْقَتِكَ أُسْتَوْجَبَ الرِّيِّ مِنْ رُؤْيَتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجْرِدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُّ بِهَ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَتِكَ وَيُوْنِسُنِي إِلَى حِينِ
 لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًّا يَعْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفِرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَنَا طَابَ أَوْلَاهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَمَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتِ الطُّيُورُ وَيَشْفَى
 الْغُلَيْلُ. فَإِنْ تَأَخَّرَتْ فَرَّقَتْ شَمَانًا. وَإِنْ تَعَجَّلَتْ إِلَيْنَا نَظَّمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعِنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَابْسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله بنها الاين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتِكَ وَمَمَّ نِعْمَتِكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةٌ أُلْوَاهِ الَّتِي تَرَجَوْلُ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَابِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَدَاتِ
لِجَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرَحَّمَ ضَنْفِي وَأَسْتَكْنِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتِكَ يَا أُمَّاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهْدِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنْ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمُخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَدْرُ وَالْبَغْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ *

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة
(حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهُدْيَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرْتُ
بِي هِمَّةٌ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلْنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَّرْتُ هِمَّةً بَلَغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا النَّدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي بَوْدِكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمَلِكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هُدْيَةٌ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أُهُدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أُهُدِ نَفْسِي فَبِهِي مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أُهُدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جارية من جواري المأمون تفاعلة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تُنَافَسَ الرَّعِيَّةَ فِي الْهُدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتَرَ الطَّافِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هُدْيَةٍ تَخْفُ مَوَوتِرَهُمْ وَتَهْوَنُ كَلْفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا النَّعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التُّفَّاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا بِأَكْثَرِ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرَدُّهَا بَيْنَ
 الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمَثَلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 أَلْفِ كَهْمَةِ التُّفَّاحِ أَجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّبَرِّ . يَلِدُّ بِهَا مِنْ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُّ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْمَادَةُ بِالطَّافِ الْعَبِيدِ لِلسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يَعْزُّنَ لِي الْهُوَانِ
 يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصراني يهنته ببره من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَمَةِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ الطَّيِّبِ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

وَبُرِّئِهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنْ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لاي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنِفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغَضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْمًا فَلَا تُؤْتُوهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُنْحَرِفًا
لِقَتَالِ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وِلِدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرًا وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرُبُوا نَحْلًا
وَلَا تَحْرُقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجْرًا مُشْرَمًا . وَلَا تَعْقِرُوا بَيْهِيمَةً إِلَّا
بَيْهِيمَةً الْمَأْكُولِ . وَلَا تَعْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحَبْتُمْ .
وَسْتَمِرُّونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ تَرْهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لِأَنَّنُفْسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَأَجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أما بعد فقد أصبحت أميراً تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ أمرك .
فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتطغيك على من دونك فأترس
من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة . وإياك أن تسقط
سقطه لأشوى لها وتعرضة لآلها (أي لإفالة) . والسلام

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أما بعد فإني أمرك ومن معك من الأجناد يتقوى الله على
كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيده في
الحرب . وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي
منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم .
ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا
كعدتهم . فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة .
وإلا ننصر عليهم بفضائنا لم نغلبهم بقوتنا . فأعلموا أن عليكم في سيركم
حفظه من الله يعلمون ما يفعلون فاستحيوا منهم . وأسألوا الله العون
على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم . أسأل الله ذلك لنا
ولكم . وترقق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم . ولا
تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يباؤوا عدوهم . والسفر لم يهص

قوتهم فإنتهم سارون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم
 بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة . حتى تكون لهم راحة يحجون فيها
 أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . ونح منازلتهم عن قري أهل
 الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه . وليكن عندك
 من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نضجه وصدقه . فإن
 الكذب لا ينفعك خبره وإن صدقت في بعضه . وليكن منك عند
 دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك
 وبينهم . ثم اذكر أحراسك على عسكريك وتميظ من البيات جهداً .
 والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم . والله المستعان

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه
 إليك . فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور . وإنما غايتك في
 المعروف أن تحقره . وفي وليه أن تكفره

كتاب لبي العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توصلت إليك في طلب نائلك بأَسباب الأمل
 وذرائع الحمد فرأيت من الفقر ورجاء الغنى وأزددت بهما بعداً مما
 فيه تقربت وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت اللائمة بيني وبينك
 لإني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي . أمرت باليأس من

أَهْلُ الْبُحْلِ فَسَأَلْتُهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فَمَنَعْتَهُمْ .

فصل لابيهم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُصَرِّفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحُلِّ النَّفِيسِ وَأَنْزَلُهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضُرْعَتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَعْيُرَكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى سَبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَبْدِ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَمِيحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَافَيْتَنِي الشُّكَّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبَدَأْتَنِي بِالطُّفِّ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعْقِبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَظْمَعِنِي أَوْلَكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيْسِنِي آخِرَكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ أَكْشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْمِنَا عَلَى ائْتِلَافٍ . وَأَفْتَرِقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضاً في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَجِّبُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأَحْتِبَّاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . وَلَكِنَّ الثِّقَّةَ بِمَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعَذَّرَكَ وَتَحَسَّنَ مَا يُقْبِحُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهِ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمَقَّتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَاتَّقَرِيعِ اللَّطِيفِ
 فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِإِسْلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ نَوْمًا بِعِتَابِكَ الَّذِي
 لَطْفَ حَتَّى كَادَ يَخْفِي عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلِظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
 أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
 عِتَابُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْمُخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ الْفُضْلُ بْنُ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانِ اللَّذَاتِ عَنِ
 النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : بأبي إقرأ هذا الكتاب وكتب اليه بما يردده
 عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَتَمَّحَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا
 أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
 الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
 يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خاكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بِيَاتِ الْخِلَافَةِ
 بِغَيْرِ كَلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا نِلَ الْهُوَى
 وَالرَّأْيَ لِلنَّاكِثِ الْمَخْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كَلِمًا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
 لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :

رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْمُونَ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْخَطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
 فَارَزَعَ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يَذُمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفُزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلٌ أَعَاتَهُ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مُحَمَّدَةَ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهَرْتَ بِمَجَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْأَخْوَانُ فِيكَ يَتَدَرُونَ وَدَكَ
 وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَّ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَسَازِلَ فَإِذَا بَاغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَسْبُلُهُ رَأْيُكَ . وَيَقْدِمُهُ
 اخْتِيَارُكَ . وَيَمْتَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُمُؤَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَهْ) . إِنْ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النُّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحُجَّتِهَا وَأَسْتَوْجِبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَأَوَّمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَمَلَّقُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى عُنُصْرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْبَتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرَسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّيِّعَةَ

فصل له ايضاً

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجُلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيُظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلْبَيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عَجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَالِفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ تَأْمَهُمُ الْمُجَدِّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَأَمْحِيَاءُ بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَجْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكِ
سَبِيلِهِ . وَلَا أُنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِيَ بَعْدَكَ أَمَّا جُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
 لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسَهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وله) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
 الصَّبْرَ يَعْقِبُهُ الْأَجْرُ وَالْجَزَعُ يَعْقِبُهُ الْهَلْعُ . فَتَمَسَّكَ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَمَلُّ
 بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتَدْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (ابن عبد ربّه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزّيه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أُسْتِطِعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
 فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
 قِتْلَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَهَفُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتِ الدَّارَ
 لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِابْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَتْ أَنْتَ
 مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
 وَخَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَيْهِ تَغْيِيرُهُ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمُشَارِكِ
 فِيهَا بَأْسٌ يَا لِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي
 مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَمَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُرْتَمَى لَكَ . فَأَنَا عَليُّ مَصْرُوفُ الْعِنَايَةِ
 إِلَى عَليِّ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتَ إِنْ أَحَقَّ قَدْ سَمَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بَعَلَّتْ لِقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثْرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثْرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق يوصي بابن أبي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَابْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَكُتِفَ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كُتِبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فُلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَاسْطِطِ اللَّهُ
بِكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : هُوَ صِلْ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهَدَتِي وَخِلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

الباب العشرون في تاريخ العرب

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكناهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة . أخيام
لسكناهم وأخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم . يقومون عليها ويقتلون
من ألبانها . ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها . ويحملون
أثقالهم على ظهورها . يتنازلون حلالاً مفترقةً ويتبعون الرزق في
غالب أحوالهم من القنص وتخطف الناس من السبل . ويتقبلون
دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ تارةً وصبراً البرد أخرى .
وانتجاعاً لرعي غنمهم . وأزتياداً لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل
أثقالهم ودفيهم ومنافعهم فأختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث .
فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك لاختصاص هذه
البلاد بالرمل والتقار المحيطة بالأرياف الأهلة بمن سواهم من
الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعي الكلاب والعشب
في منابتها والتقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأقوات في
سنتهم من حبوبها . وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من
أضارهم بإفساد السابلة ورعي الزرع مخضراً وأنتها به قائماً وحصيداً .
إلا ما حاطته الدولة وذاذت عنه الحامية في الممالك التي للسلطان عليهم

فِيهَا . ثُمَّ يَخْدِرُونَ فِي فَصْلِ الْخَرْيْفِ إِلَى الْقَقَارِ لِرَمْعِي شَجَرِهَا وَنِتَاجِ
 إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
 وَظَعَانِيَتِهِمْ مِنْ أَدَى الْبُرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
 مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرَّيْفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
 صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْمَخِيطِ فِي الْغَالِبِ
 وَلُبْسُ الْعِمَامِ تَيَّمَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَّهِ الْبُرَيْرِ فِي حَمْلِ السَّلَاحِ
 أَعْتَقَالَ الرَّمَاحِ الْخَطِيئَةَ وَهَجَرُوا تَشَكُّبَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ : اُخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْتُقَ مِنْ
 الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
 أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تَهَامَةٍ وَدَعِيَ جِيلُهُمْ جَيْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
 كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبْرِ وَالْتِمَجُّرِ . وَقَدْ
 قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ .
 أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
 لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهِيَ عَرَبُ أَيْمَنِ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ .
 وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهِيَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الأرب للنويري)

أخبار العرب العاربة أو البائدة وهم القسم الأول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَاهِمُ
 الْأُولَى . وَقَدْ تَسَمَّى هَذَا الْجَيْلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُمْ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ
 الْعَرَابَةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرَّسَاحَةِ بِالْعَرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَيْلٌ وَصَوْمٌ
 صَائِحٌ أَوْ بِمَعْنَى الْفَاعِلَةِ لِلْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُثْمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادِ
 شَدَّادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي أَمَّاكٍ وَأَسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا أُتْصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الثَّرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَنِي .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يَصْبِرُوا إِلَى دُعَايِهِ . فَوَلَّكَ جَمِيعَهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْغَايِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَكَثَّرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ عَشُومًا مُطَارًا الْجَدِيسِ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلَمَّا قَدِمَ أَنْقَرَضِيهِمْ ذَهَبَتْ عَنْهَا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهَا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَلَيْسُوا مِنَ الْبَادَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةَ لِتَرْوِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ

الْعَارِبَةِ وَتَخَلَّقَهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ

أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبٌ يُقْطَانُ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ

أَرْضَ أَيْمَنَ وَلَبَسَ التَّاجَ (٢٠٣٠ قَبْلَ الْمَسِيحِ) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ

مُعَاَصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .

وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعَدِينَ عَنِ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفَهُ

الَّذِي كَانَ لِأَوْلَائِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يُسَوِّقُ إِلَيْهِ التَّرْفَ

وَالنَّصَارَةَ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْفَضَاءِ فَصَا بِالْهَمِّ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِّ الْقَفْرِ

أَفْحَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعِمَالِقَةِ فِي

آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَامَهُمْ بِمَنَّاكِهِمْ وَاسْتَجَدُّوا خَلْقَ الدَّوْلَةِ بِمَا اسْتَأْنَفُوهُ

مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتْ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لَا بَنَ خَلْدُونَ)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوَبَةَ

سُمِّيَتْ أَلَيْنَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَوَلَدَهُ بِالنَّحْيَةِ : أَيْتِ اللَّعْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا

وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَيْبِنَا فَصِرْتُمْ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ

وَكَنتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكَنتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَعْرَبَ ابْنَهُ يُسْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامَهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَمَالِكِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرَ
 الْغُرُوفِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنَّوِيرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدِّ مَأْرِبَ وَتَفْرَعِ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاذِيًّا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِتْمَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حَمِيرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَدَوَلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَثْرَفُ وَأَبْدَخُ وَأَعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ رَاغَرَقَ جَنَاتَهُمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَعَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَاعَةَ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَتَابِعَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَارِلَةٍ لَمْ يَضْطَبْطَهُمُ الْحَضَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَأَخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَهْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَخَرِّجًا جُهْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ عَنْ طُوسٍ مِنَ الْفِكْرِ وَأَقْتِنَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوَالِدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ
 حَمِيرٌ وَعَمْرُو وَكُهْلَانٌ فَيَعْرَى التَّبَاعَةَ إِلَى حَمِيرٍ وَالْمَنَادِرَةَ إِلَى عَمْرُو وَيَتَّبِعِي

الغسانية إلى كهلان . وسنورد بالتخصيص أخبارهم (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٢٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمَلِكِ الْيَمِينِ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتَبِيعٍ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمِينُ وَالشَّخْرُ وَحَضْرَمُوتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيَسْمَى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبِيعٌ . وَأَمَّا حَمِيرٌ فَقَدْ يَعْرِفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِ بِحَجٍّ (٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّحَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمِينِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَعَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَفْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبَقِيَ الْأَثَارُ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ أُسْتَمْتَرَ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِيعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي نَزْوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذي الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَيْرَهُةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِتَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ الْبَرَبَرِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْأِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَاتِهِمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبِرَتِهِمْ . فَسَمَوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
 الرِّعْيَةِ . وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَلْسَدُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :
 يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَهَلْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَاحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
 يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْأَمْعِينَ الْمُرْفِدُ
 يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعُلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
 كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
 وَلَمَّا ذُعِرَتْ حَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَدَّتِ الْمَلَكَ شَرَحْبِيلَ .
 فَجَرَى بَيْنَ شَرَحْبِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
 وَأَسْتَقَلَّ شَرَحْبِيلُ بِالْمَلَكَ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْأَهْدَهَادُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمير مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقَيْسُ ابْنَةُ الْأَهْدَهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
 عَلَيْهِ بِبَيْتِيسِ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مَلِكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
 بِالْمَلَكَ مَالِكُ نَاشِرِ النُّعْمِ . لِأَنَّهُ قَدَّ أَعْنَاقَ رِعْيَتِهِ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْمَنَنِ
 وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَاوِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثْرَةِ
 الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرِجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
 عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
 النُّعْمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَفَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَعْطَبُ .
 ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمِيرُ مَرْعِشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأُرْتِعَاشِ كَانِ بِهِ
 وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْأَخْرُ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَاعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَرُ الْبَعِيدَةَ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَقْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
جَبُجُونَ . فَقَالَتِ الْعَجْمُ شِمْرُ كَنْدَايَ يَمُرُّ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسَمِيَتْ بِأَسْمِهِ هَذَا وَعَرَبْتَهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمْرَقَنْدُ . وَشَخَّصَ مِنَ الْإِيْمَنِ
غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحَيْرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِيْمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادُوا نُوهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَعْرَاءَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ مَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَاسِ سَامِي الْهَمَّةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْإِيْمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلْلِ يَمَكِّنُهُ الْفُرْصَةَ لِإِتْنَاءِ بِلَادِهِمْ بِأَقْيَادٍ وَفَتْحِهَا . فَسُرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِمَجِيشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَتْهُمُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةَ . فَتَوَعَّلُوا فِي فُلُوتٍ سَحِيْقَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُ بْنُ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيِّقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُرْزَفَتْ . لِئَلَّا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَبِيلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ اَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ
فَفَرَّقَتْ الْقَبَائِلَ الْمَجَاوِرَةَ لَهُ اَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى حَمِيرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تَبَانَ
أَسْعَدُ وَاسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مَلِكِ آبَائِهِ التَّبَاعِيَةِ لَسَمِيَ
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
حَمِيرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاعِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَطَطَ لَهُمْ مِنْ مَلِكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكِرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الْأَمْنِ كَسَبَ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحْدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطَّنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارَيْنَ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ . فَاخْتَطَفَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيَعْلِفُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَأَبْتَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيَمُوتُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ أُسْتَسْرِجَ لَهُ الْبَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لِأَهْلِكُمْ وَهُوَ وَحْدَهُ لَا نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا تَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيَمُوتُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتْ الْخَلَّةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ بُجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عَيْسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بُجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَعْمُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَتَحَهُ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَاللَّعْمُزَاتُ وَدَانَ
السُّكْلُ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَّاسٍ بِجُنُودِهِ وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ بُجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَحَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكٌ دِينِي لِشَيْءٍ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةٌ أَشْهُرٌ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّيَتْ . فَقَالَ لَهَا
الْغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تَنَافِقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَّاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَفَلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَأٍ يُقَالُ لَهُ دُوسٌ دُؤُ
 ثُعْلَبَانِ فَسَلَّكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
 الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَّاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك الين

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرٌ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ السُّفُنُ
 وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهَّدَ
 إِلَيْهِ بِتِلْكَ وَسَبِيهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبُحْرَ وَنَزَلُوا سَاحِلَ
 أَلْيَنٍ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَّاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَّاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
 وَبَقَوْمِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبُحْرِ وَخَاضَ ضَخْمَ ضَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
 غَمْرَةٍ فَأَقْحَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرَ التَّبَاعَةِ .
 (٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ أَلْيَنٍ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رَجَالَاتِ
 حَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونِ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَهَضَ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَةَ أَحَدِ رُؤَسَاءِ
 جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رُعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
 إِلَى أَرْيَاطُ عِظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَعَطَّارِيَهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
 أَرْهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
 أَرْهَةَ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَاسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاعِهِ
 وَسَقَطَ عَنْ جِوَادِهِ . فَمَالُوا وَاحِيئِنْدِ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
 وَكَانَ أَرْهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لِحَيْمًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النُّصْرَانِيَّةِ .
 فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً حُكْمَةً الْعَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْقَلَيْسِ (*) فَأَنْتَشَرَ خَبْرُ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَبِأَهْلِكَ أَرْهَهُ
 (٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَاسْتَحْلَ مَلِكُهُ
 وَأَذَلَ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْإِيْنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
 يَكْسُومٌ فَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (اللازرقى)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِيْنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
 الْجَمِيرِيِّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلْفِ وَعَقِبَ أَوْلِيَاءَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
 الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْخُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
 الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينَ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
 وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْدَرِ عَامِلِ فَارِسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
 مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَهَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
 كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَّأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
 فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقِتْلِ . أُبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان القليس مربعاً مستوي التربع وجعل طولهُ في الساء ستين ذراعاً وحوله
 سورٌ بينهُ وبين النليس مائتا ذراعٍ مطيفٌ به من كل جانب وجعل بين ذلك كآءِ حجارة
 تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقتها الابرة مطبقة به . وكان
 له باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلق العمل
 بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده مخروبة بالفسيفساء مشجرة بين اضعافها
 كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة جدرها بالفسيفساء وفيها صلبٌ منقوشة
 بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من الباقى مربعة تعشي عين من نظر اليها من
 بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
 اللبخ وهو الابنوس مفصل بالعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوا كَانَ مُلْكًا أَرَدَدْتَهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَدَّصُوا
 بِثَمَانِيَةِ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَاهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزْرَ الدَّيْلَمِيِّ . فَتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهَزْرُ ابْنَهُ أَنْ يَتَاوَسَهُمُ الْقِتَالَ
 فَقَتَلُوهُ وَأَخْفَضَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فَيْلٍ عَلَيْهِ
 تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَعَنَّجَلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفَنِي مَلِكَهُمْ فِي الْيَمِينِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهَزْرُ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمِينِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرْسِ صَمَّهْمُ إِلَيْهِ عَلَى
 فَرِيضَةٍ يُودِّيَهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَنْزَلَهُ بِصَنْعَاءَ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنَّ الصَّخَّاءَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
 لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبْشَةَ وَيَمْتَلِئُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَأَخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحِرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْحِرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمِينِ وَأَسْتَمَرَّتْ عَمَالُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بَأَذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمِينُ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجديعة الابرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجليل الأول فلم يصل إلينا
تفاصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تمزقت عرب
اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاعة
وهما حيان من أحياء الأزدي من بني كهلان ممن تمزق إلى العراق .
فقال ملك بن فهم الأزدي لما لك بن القضاعي : نقيم بالبحرين
وتتحالف على من نوانا فتحالفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك
الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي شاعرة
فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم
الأزدي . وسارت قضاعة إلى الشام مع مالك القضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح)
وكان منزله بالأبواب فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل
وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رآه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شر اجزاني

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فآظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك
جديعة الابرش . (٢١٥ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد
النكاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَتَهُ بِهِ إِعْظَامًا
 فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوْلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
 الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الثَّرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَجْبِي
 أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنَ الْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
 أَضْحَى جَذِيمَةَ فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
 فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكٍ . وَكَانَ جَذِيمَةَ
 مَلِكًا مَعَدِّ وَبَعْضُ الْأَيْمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمَرِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنَ حَسَّانَ
 ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
 حَتَّى قَاتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ تَحْوِسَتَيْنِ سَنَةً بِالْقُرْبِ (لِحِمَزَةِ الْأَصْفَهَانِيِّ)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فَوَرِثَ الْمَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
 رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
 يَعُدُّهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
 يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو وَبَطَلِبُ الثَّارِ مِنَ الزَّبَاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتْ
 الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقَلٍ فَصَارَتْ أَمْنَعُ مِنَ عِقَابِ فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
 قَصِيرِ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
 أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَوَأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَصْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
 وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلْتُ بِي أَنْ كُنِيَ لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَافْكُرْ دَيْتَهُ وَقَرِّبْتَهُ
 حَتَّى إِذَا رَضِي مِنْهَا مِنَ الْوَثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأُنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفْدَعُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلَ . لَا يَدِينُ
 مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ مُجَاوِرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانٍ مِنْهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَحَقُّوا بِالشَّامِ وَأَنْضَمُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُحَدِّثُونَ أَحْدَانًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَصِيقُ مَعِيشَتِهِمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رِيفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحَيْرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْرَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَ وَبُيُوتَ الشَّعْرِ وَالْوَبْرِ فِي غَرْبِي الْأَنْرَاتِ مَا بَيْنَ الْحَيْرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ مَا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحَيْرَةِ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّلَاثُ الْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحَيْرَةُ أَيَّامَ
 مُلِكِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظَّمَ شَأْنَهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ
 الْكُوفَةُ وَنَزَلَهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ .

(للنويري وحزمة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والخرق والنعمان الاعود السامع

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ ثَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدُ بَنِي
فَازَانَ فَقَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالْمُنْذِرِ وَالْمُحْرَقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَبْنُ يَعْفُرٍ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَّمِلُ بَعْدَ آلِ مُحْرَقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّامِيُّ وَهُوَ بَابِي الْخَوْرَتَقِ وَالسُّدَيْرِ (*) وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرْدَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بَهْرَامُ لِيَرِيَهُ وَأَصْرَ
بَيْتَاءِ الْخَوْرَتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْفَنَهُ الْجَلَالَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَاحَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَابْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدَأَتْ السَّمَاءَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبِيٍّ وَغَنِمٍ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسٍ يُنْقِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاهَا الْفَرَسُ وَدَوَسَرُ وَأَهْلَاهَا تُوخُ . فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ . وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِلْمَلِكَةِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحِيرَةِ . وَالْحِيرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفَرَاتِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود ر امرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَمَا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
 وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْ عَلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وُلْدِ أَرْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
 لِنَشْئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوهِ مِنْ آدَابِ النُّجْمِ . وَأَسْتَجَدَّ بِبَهْرَامَ بِالْعَرَبِ
 فَجَهَرَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِطَلَبِ مُلْكِهِ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
 لَهُ فَارِسٌ وَأَطَاعُوهُ . وَأَسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَجْتَمَعَ
 أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغَلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م)
 وَمَلِكًا مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدِ النَّصْرَانِيَّ
 فَتَرَهَّدَا (٤٦٩) . (*) وَمَلِكًا مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي انْتَصَرَ
 عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلِكًا
 أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نَعْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
 اسْتُخْلِفَ أَبُو يَعْفَرِ بْنِ عَلْقَمَةَ الذَّمِيلِيُّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
 مَلِكًا أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
 فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُتِيمٌ أَوْ دَمْلُوكُ الْحَيْرَةِ وَتَعَضُّدُهُمْ . وَهُوَ
 أَيْضًا بَابِي الْعُدَيْبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جَبِيرُ بْنُ بُلُوغٍ :
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخِبُ بِنَا النَّاقَةَ نَحْوَ الْعُدَيْبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَمَا هَلَكَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلِكُ الْمُنْذِرِ الثَّلَاثِ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْقَرْنَيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَالِ الْأَبِي عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرَائِي
عَطَاءً وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى نَدِيهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةَ بْنَ كَثُومٍ
قَتَلَهُ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ
هِنْدٍ الْمَلَقِيُّ بِأَمْحَرَقٍ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعِ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشُرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ النُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِي الَّذِي بَنَى الْغُرَيَّينِ وَتَتَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِي وَالْمَسْعُودِي)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلَقِيُّ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَعْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمَنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهَرُ أَلْمِيرَةَ ثُمَّ يُجْعَلُ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِ فِي الْخُفْرَتَيْنِ . ففَعَلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَاخْبَرَ بِهِمَا كَيْفَهُمَا . فَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرُ بَيْنَ بَيْوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَبُرُوقُ

أَمَا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتَ فَالْبُكَاءُ خَلِيقُ
 ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنِجَاءِ الْغَرِيِّينَ عَلَيْهِمَا . فَبِنِجَاءِ
 وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجُاسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغَرِيِّينَ لِيَسْمِيَ أَحَدَهُمَا
 يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
 مِائَةً مِنَ الْأَبْلِ شُومًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
 يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانَ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُدْحِجُ وَيُغَرِّى بِدَمِهِ الْغَرِيَّانِ .
 فَأَيْتَ بِذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طِيٍّ يُقَالُ لَهُ
 حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوْى النُّعْمَانَ فِي خِبابِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
 الصَّيْدِ وَأَنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
 يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
 النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
 هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَيْتَ الْأَعْنَمَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
 أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَالْأَهْلِيَّ مِنْ خَيْرِكُ
 مَا رَأَيْتُ أَفَلَا تَكُنْ مِيرِثَتَهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةَ
 أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ تَوَجَّيْتُ سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذُ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
 حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَاءِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرٍو فَأَلْشَدَّ :
 يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
 يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَالَه

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحِيَاً مِنْ لَاحِيَاةِ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَيْلٌ أَكْرَمَ اللَّهُ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ أَحْسَنُ عَمْرٍو وَشَرَّاحِيلُ الْحَمَالَةَ
 رَقِيكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمُقَالَةِ

فَوَثَبَ شَرِيكٌ وَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ الطَّاءِيَّ بِخُمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجْلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكٍ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءً حِنْظَلَةَ .
 فَقَالَ شَرِيكٌ : فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ .
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا . وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرِي نَدِيمِيهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكٍ . فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّاءِيَّ . فَلَمَّا
 كَادَتِ السَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكٌ مُجْرَدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسِّيفِ
 إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حِنْظَلَةُ الطَّاءِيَّ قَدْ تَكَمَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى
 النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفَلَّتْ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ .
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ . قَالَ :
 وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النُّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَأَعْرَضَهَا فَتَنَصَّرَ
 النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَقَّ عَنْ شَرِيكٍ وَالطَّاءِيَّ .

وَقَالَ: مَا أَذْرِي أَيْكَمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي صَمِنَهُ. وَأَنَا لَا أَكُونُ الْأَمَّ الثَّلَاثَةَ. قَالَ الْمِيدَانِيُّ: وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانَ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنِي النُّعْمَانَ فِي حَاضِرَةِ مَلِكِهِ الْكِنَانِسِ
الْعَظِيمَةِ. وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَبْرَوِيذَ (٦٠٤ ب م) وَأَنْتَقَعَ الْمَلِكُ
عَنْ حَلْمٍ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الآغَانِي)

٣ الغساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالُ الْقِيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ تَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْبَرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ.
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْأَيْمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيَتْ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ. فَتَشَاءَمَ قَوْمٌ فَزَلُّوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُّوا غَسَّانًا. ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو الْعَسَّانِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصِرَةِ. وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ غَسَّانٌ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سُلَيْحٍ فَضَرَبُوا عَلَى الْغَسَّانِيَّةِ الْإِتَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جِبَاتِهَا سَيْدِيًّا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَّاهُمْ. فَتَقَصَّدَ سَيْدِيٌّ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ: تَهْجَانِي الْإِتَاوَةَ
أَوْ لَا خِذْنِ أَهْلَكَ. وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا وَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِتَاوَةَ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: عَلَيْكَ بِأَخِي جِدْعِ بْنِ عَمْرِو. وَكَانَ جِدْعٌ فَانِكَا.
فَأَتَاهُ سَيْدِيٌّ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُذَهَّبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِتَاوَةَ. قَالَ:

نعم . قال : فخذهُ . فتناول سييطُ جفنَ السيفِ واستلَّ جذعُ نصله
 وضرب به به . ففعل : خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوفعت
 الحرب بين سليح و غسان فأخرجت غسان سليحاً من الشام وصاروا
 ملوكاً . واستقر ملك الغساسنة ٤٠٠ سنة بديف (*) (لحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن
 كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك تأكل القوي الضعيف حتى ملك
 حجر وكان تبع حين أقبل سائراً الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساهم احسن
 سياسة وانتزع من النخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
 ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى
 ولّاه قباض ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
 الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب فلم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
 بنين ولآم على قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متولياً على بني اسد فقتلوه امره وقتلوه . فقام
 امرؤ القيس واستنجد بيكر وتغلب على بني اسد فأنجدوه وهرب بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
 بهم . ثم تخاذت عنه بكر وتغلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء . ففترقت جموع امرؤ القيس
 خوفاً من المنذر وخاف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
 أناس الى أناس حتى قصد السموع بن عاديا اليهودي فآمره وأنزله . وأقام امرؤ القيس
 عند السموع ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرعه
 عند السموع بن عاديا المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة
 بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ
 فقلت له لا تبك عينك إنما
 نحاولُ مسلماً أو نموتُ فنعذراً
 فمات امرؤ القيس بعد عودته من عند قيصر عند جبل يقال له عسيب . ولما علم بموته هناك قال :
 أجارتنا إن الخطوب تنوبُ
 وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ
 ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموع وطالبه بادرع
 امرؤ القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموع . فلما
 امتنع السموع من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدرع وإما قتلت
 ابنك . فقال السموع : لست أخفِرُ ذمتي فاضنع ما شئت . فذبح ابنه والسموع ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَلْيَنُ نَعِ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرُمُوتَ . وَأَصَابَ أَلْيَنُ فُحْطُ فُقَرُوا نَحْوَ تِهَامَةَ يَطْبُونُ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعَمَالِقَةَ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتُوْفِيَ لِمِائَةِ
وَتَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَحْمِلُ حَتَّى
وَلَّوْا الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وِلَايَتَهُ وَحِجَابَهُ وَوِلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَمَا
طَالَتْ وِلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْمَلُوا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظِيمًا وَأَسْتَحْمَلُوا الْجُرْمَةَ
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطْأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَأَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتُضَيِّقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَارْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فغضب العرب به المشل في الوفاء . وقال السموئل :

وفيت بأدراع الكندي إني
بني لي عاديا حصنًا حصينًا
وما كَلَّمَا شئتُ استقيتُ
إذا ما نابني ضيمُ أبيتُ
تخدم يا سموئل ما بنيتُ
وأوصى عاديا قديمًا بالآ

أَحْبَبْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجِوَارِكُمْ . فَأَفْتَتُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفَاتَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدَرَ دَمَهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْإِيْمَنِ
وَأَخْرَجَتْ خُرَاعَةَ بَمَكَةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكُعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ حُجِيُّ وَهُوَ رِبِيعَةُ
أَبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَةَ سَدَائِفَ
الْأَبْلِ وَالْحَمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْإِيْمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكُعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ تَسْتَسْقِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةَ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصِيُّ الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكُعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكُعْبَةِ لِأَبِي عَبْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصِيِّ بَرِّقٍ خَمْرٍ فَفَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْهَةَ أَبِي عَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصِيٌّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَاحُوا عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكُعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَادَ
لِقُصِيِّ لُؤَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَيَمَّنَتْ قُرَيْشٌ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكعبة فَكَانَتْ مُجْتَمِعَ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُودُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للزرقي)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أوَّل أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بصنم
 يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ عندها فكان الرجل اذا قَدِمَ من سفرٍ بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْشٌ فجمعت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة
 للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مسَّتْهم الحاجة ويقولون : اِنَّا اختلفنا فهب
 السراحا . ان لم تقبله فسر القداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
 تبرك الناس به وتقرُّ دونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نُصِبَ صنم يُعرف بالملصصة فكانوا
 يلبسونها القلائد ويحدون اليها الشعير والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها وبعقون
 عليها بيض التعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشري
 وقيل ان اصل اسمه ذوشراء اي ساطع النور . والزهرة وزحل والمرنج وغيرها من الثوابت .
 ومن معبوداتهم أيضاً المناة واللات والعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي نُدَيْد .
 وكانت صنغرة تراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الحَدَب . وكانت اللات أيضاً
 صنغرة صنماً للشمس اذا مرَّ عليها الحاج يلتوئها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
 ومنه اسم الجلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْشٌ وبنو كنانة . ويطوفون بها بعد
 طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراعى للسدنة وهم الحبيبة وذلك من صنيع ابليس وأمره . وكان
 بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الها عبده دهرأ طويلاً ثم أصابهم نجاة فاكلوه . فقيل في ذلك :

أكلت حنيفة رجماً زمن التعمم والجماع
 لم يحذروا من رجم سوء العقوبة والتباع

ومن اديانهم الجوسية او الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
 واصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والاقاليم للكواكب . وزعموا ان قوى الكواكب
 تفيض على تلك الاصنام . فتكلم تلك الاصنام وتفهم وتوحي للناس اعني الاصنام . وتعلم
 الناس منافهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . اذا أفردت تلك
 الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
 الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن اديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث
 ابن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من
 بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وان كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
 تنصروا . واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجمرا
 وتوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قریش نصبت في جملة اصنامها في الكعبة تتمال مريم مرقاً
 وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مرقاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس
 صورتها بل بقيتا الى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق (للتوري والازرقى)

٢ علوم العرب وآاجم

٤١٣ فاما علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار
 وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة
 في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغارجا وعلم بانواء الكواكب
 وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في
 اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه ولا هيأ
 طبائعهم للعناية به . وكان الشعر ديوان خاصّة العرب ومتمى حكمتها والمنظوم من كلامها
 والمقيد لآيامها والشاهد على حكمها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يهينون الا بغلام
 يولد او شاعر ينبع فيهم اوفرستتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخر به الا السيف
 والضيف والبلاعة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون
 ويتفخرون ويتعاطون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له ان عمدت الى سبع
 قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال
 لها معاقات لانها علقت في أستار الكعبة . اما الكتابة فحكوا ان ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين
 عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأسيار وجاء
 الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً . ولقلة القرايطس عندهم عمدوا الى
 كتيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاي من كان
 لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لابي الفرج والجوهري)

تم بجوله تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣ ما ضُرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الاول في التدئين
٦٤ اشعارٌ جارية مجرى المثل	٣ في كمالاته تعالى
الباب السادس في امثال عن السنة	٤ الدعاء لله
٦٨ الحيوانات	٧ منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البازي والديك برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرد	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساءة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغليم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	١٦ في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
٨٣ الجدي السالم والذئب النادم	١٧ عدي بن زيد والنعمان
٨٥ فارة وهر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ الهدهد الغير المتروى	١٩ الراهب الجرجاني ولسينج عمر الصيني
٩٢ مالك الخزين والسمة	٢٩ حفظ الحواس
٩٤ الديك والتعلب	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٧ الجمل والملح	٣٢ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العاشون بجنته	٣٥ التوبة الى الله
١٠٣ الباب السابع في الفضائل والرزائل	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٣ الصبر	٤٦ الباب الرابع في الحكيم
١٠٥ القناعة	٥٠ نوادر بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧ العدل	٥٢ حكيم شاتاق الهندي
١٠٩ الكرم	٥٤ اشعار حكيمية
١١٠ الوفاء الراي والمشورة	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٣ الحسد	٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
١١٤ حفظ اللسان وكتان السر	٦٣ نبذ من كلام الزمخشري والبستي
١١٧ الغيبة	
١١٩ الصدق والكذب	

وجه	وجه
١٨٢ في الانغاز	١٢٠ الزاح
١٨٧ في الوصف	١٢١ الصداقة وخلوص المودة
١٩٤ في الحكايات	١٢٧ المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٤ ابن الزبيرى ومعاوية	١٢٩ الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٥ المنصور ومحمد بن جعفر	١٢٩ في العقل وماهيته وشرفه
١٩٦ عمر بن الخطاب والعجوز	١٣٣ في العلم وشرفه
٢٠٠ معاوية والزرقاء	١٣٨ وصف الكتاب
٢٠٣ كريمان حصلا على الامارة بكرهما	١٤١ في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٨ يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك	١٤٢ في الشعر
٢٠٩ احسان كريم الى من قتل اباہ	١٤٤ في الأدب
٢١١ جود معن بن زائدة	١٤٧ الآداب الظاهرة
٢١٢ ابرهيم الموصلي والمهدي	١٥٠ الباب التاسع في اللطائف
٢١٤ المرأة المتظلمة وابن المأمون	١٥٠ الحداد والامير
٢١٥ المرأة الكريمة	١٥١ الحجاج والفتية
٢١٨ الاعرابي ومالك بن طوق	١٥٢ ابو العلاء وكتاب الفصوص
٢١٩ الخارجي والمعتصم	١٥٣ فتى فصيح علي بن الحنم والمتوكل
٢٢٠ قصة رجل اجار رجلاً استغاث به	١٥٤ درواس بن حبيب وهشام
٢٢٥ الباب الخامس عشر في الفكاهات	١٥٥ الشاعر المتروى
٢٢٥ سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد	١٥٦ المنصور وابن هبيرة
٢٢٨ ابرهيم الموصلي وابرهيم المهدي عند الرشيد	١٦٠ ابو عبادة البجلي عند المتوكل
٢٣٠ ثقیل وظريف	١٦٢ الرکاض والرشيد
٢٣١ سنان بن ثابت والطيب القروي	١٦٤ الأعمى والأعور
٢٣٢ حذاء ابي القاسم الطنبوري	١٦٦ اولاد نزار عند الافعى
٢٣٥ الباب السادس عشر في النوادر	١٦٧ الباب الاشر في المديح
٢٣٥ ابن مقله والواشي	١٧٦ الباب الحادي عشر في الفخر والعجز
	١٨١ ابن كندة عند كمرى

وجه		وجه	
٢٨٧	فصل في المدح والشكر	٢٣٥	معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند
٢٨٨	فصول في التعازي	٢٣٦	مشهد الحسين
٢٩٠	فصول في وصاة	٢٣٧	مروءة اسماعيل الهزرجي
		٢٣٩	جود حاتم الطائي
٢٩١	الباب العشرون في تاريخ العرب	٢٤٠	إيثار ابن مامة الايادي
٢٩١	نظر في امة العرب وطبائعهم وسكناتهم	٢٤١	صنم سومناة
٢٩٢	ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٤٢	الباب السابع عشر في الاسفار
٢٩٢	اخبار عرب العاربة او البائدة	٢٤٢	مدح السفر
٢٩٤	العرب المتعربة بنو قحطان	٢٤٤	ذم السفر
٢٩٤	ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان	٢٤٤	سفرة ابن جبيل الى جزيرة صقلية
٢٩٥	سد مأرب وتفزع بني سبا		الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٦	ملك التبابعة بني حمير في اليمن	٢٥٥	في شرح عجب الموجودات
٢٩٦	ملك شداد وتبع وافريقس وذو الاذعار	٢٥٩	في جرم الشمس ووضعها
٢٩٧	ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش	٢٦١	في كسوف الشمس وبعض خواصها
٢٩٩	ذو نواس وشهداء النصرانية في نجران	٢٦٢	فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠١	استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٢٦٤	في الحجرة والكواكب الثوابت
٣٠٢	اخبار سيف بن ذي يزن	٢٦٥	فصل في ارباع السنة
٣٠٤	ملك المناذرة بني كهلان في العراق	٢٦٨	فصل في تولد الانهار
٣٠٤	ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي	٢٦٩	جسم الارض ودورانها وهيئتها
٣٠٦	امرؤ القيس البدء والحرق والنعمان	٢٧٠	في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٣٠٨	المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس	٢٧١	في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك
٣٠٨	ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس		الباب التاسع عشر في المراسلات
٣٠٩	خبر تنصر النعمان	٢٧٣	في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٢	الفساسنة ملوك الشام بنو كهلان	٢٧٧	في الاشواق وحسن التواصل
٣١٣	ملوك كندة	٢٨١	فصول في التهنته
٣١٤	ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٢٨٢	في التوصية
٣١٦	ملحق بتاريخ العرب	٢٨٤	فصول في الذم
٣١٦	اديان العرب		
٣١٧	علوم العرب وآدابهم		

893.78

C41

v.3

BOUND

DEC 14 1955

